الفعل المضارع بعد (قد) دلالته ودلالتها معه في القرآن الكريم

Professional begging and its implications in Islamic jurisprudence - an applied study

إعداد

د/ محمد حسن محمد حسن أبو النجا

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بكفر الشيخ
جامعة الأزهر

"الفعل المضارع بعد (قد) دلالته ودلالتها معه في القرآن الكريم"

محمد حسن محمد حسن أبوالنجا

قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ جامعة الأزهر

البريد الإلكتروني : MohammadHasan2998.el@azhar.edu.eg

الملخص :

أعرض فيه معاني (قد) في اللغة العربية، ومتى كان العرب يستعملونها في كلامهم، ثم أعرض مدلول الفعل المضارع في اللغة العربية، ومتى كان العرب يستعملونه؛ لنتبين من هذا مدلول الفعل المضارع بعد (قد) في اللغة العربية.

ثم أتتبع الآيات الثمان في القرآن الكريم التي جاء فيها الفعل المضارع بعد (قد)، لنتبين دلالة (قد)، ودلالة الفعل المضارع بعدها، على وفق ما يقتضيه متعلقات كل آية منها، من سبب للنزول . إن وُجِد .، ومن سياق، ومن دلالات تؤخذ من ألفاظ الآية وتراكيب جملها، وغير ذلك من القرائن المتعلقة بالآية.

وأتبع في هذا البحث المنهج الاستقرائي، التحليلي، النقدي.

الكلمات المفتاحية: الفعل المضارع، (قد)، دلالة الفعل المضارع، معاني (قد).

The present verb after (may) its connotation and its connotation with it in the Holy Qur'an

Mohamed Hassan Mohamed Hassan Abu Naga
Department of interpretation and Quranic sciences at the Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Kafr El-Sheikh Al Azhar university
Email : MohammadHasan2998.el@azhar.edu.eg

Abstract :

Let us see from this the meaning of the present tense after (may) in the Arabic language.

Then I trace the eight verses in the Holy Qur'an in which the present tense verb came after (may), so that we can discern the significance of (may) and the significance of the present tense verb after it, according to what is required by the implications of each verse of them, from the reason for the revelation - if it exists -, from the context, and from the connotations. It is taken from the words of the verse and the structures of its sentences, and other clues related to the verse.

In this research, I follow the inductive, analytical, and critical approach.

Keywords: Present Tense Verb, (May), Connotation Of Present Tense Verb, Meanings Of (May).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد . ﷺ .، وعلى آله وصحبه، ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فهذه دراسة تفسيرية، جاءت لتلقي الضوء على ظاهرة أسلوبية، في السياقات القرآنية، وعنوانها: **(الفعل المضارع بعد (قد) دلالته ودلالتها معه في القرآن الكريم)**.

أسباب اختياري الموضوع: قد دفعني إلى هذا البحث بعد إرادة الله ﷻ عدة أسباب، **منها:**

أولًا: بيان دلالة (قد) واستقراء استعمالاتها عند العرب.

ثانيًا: الوقوف على دلالة الفعل المضارع، وأوجه التعبير به في السياق.

ثالثًا: تحقيق ظاهرة دخول (قد) على الفعل المضارع، وبيان دلالتها في النظم، والكشف عن أوجه تمكنها في السياق.

رابعًا: الإسهام في إحياء التراث الإسلامي والعربي، والإفادة من ثرائه، وبيان أنه السبيل المنشود في الكشف عن دلالات عناصر النظم القرآني.

أهمية البحث: تتجلى أهمية هذا البحث فيما يلي:

أولًا: أنه انتظم على طرح يمكن من خلاله التعرف على دلالة (قد)، وأوجه التعبير بها في السياقات القرآنية.

ثانيًا: أنه يعالج ظاهرة دخول (قد) على الفعل المضارع في السياقات القرآنية، ويبرز أسبابها مقامًا، ويعلن تمكنها نظمًا.

ثالثًا: أنه يقدم الرد على مَنْ يزعم أن دخول (قد) على الفعل المضارع يفيد التقليل.

رابعًا: أنه جمع ما ورد عن العرب من تعبير نظم دخول (قد) على الفعل المضارع.

مشكلة البحث: من المشكلات التي وجَّهَ البحث غايته نحو الإجابة عليها ما يلي:

ما دلالة (قد) عند العرب؟ وكيف يمكن استخلاص تلك الدلالة من واقع كلامهم؟ وما دلالة الفعل المضارع؟ وكيف يمكن توجيه دخول (قد) على الفعل

المضارع في السياق القرآني؟ وكيف يَتَأَتَّى الرد على مَنْ يزعم أن دخول (قد) على المضارع يفيد التقليل؟

الدراسات السابقة: بعد البحث والاطلاع تبين أن البحث لم تسبق دراسته بالطريقة التي سأتناوله بها– إن شاء الله تعالى–، وقد جاءت الإشارة الإجمالية إلى دلالة دخول (قد) على الفعل المضارع في السياق القرآني في ثنايا تراثنا التفسيري، الأمر الذي يحتاج معه إلى جمع آيات تلك الظاهرة، واستقراء مواقعها في النظم، ودلالتها في السياق.

إضافة البحث العلمية: ومن إضافته العلمية:

أولًا: أنه جمع كلام العرب المنتظم لدخول (قد) على الفعل المضارع، وقام بشرحه، واستخلاص دلالة تلك الظاهرة من واقع كلامهم.

ثانيًا: أنه جمع مواقع التعبير بـ (قد) الداخلة على الفعل المضارع في النظم القرآني، وعُنِيَ بشرحها وتحليلها بما يتفق مع المنهج العلمي، وأصوله، وضوابطه.

ثالثًا: أنه أبطل ادعاء أن دخول (قد) على المضارع يفيد التقليل، وفق قواعد علمية، وضوابط منهجية.

خطة البحث: وقد اقتضى واقع البحث تقسيمه **إلى** مقدمة، وفصلين، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد ضمنتها أسباب اختيار الموضوع، وأهمية البحث، ومشكلاته، والدراسات السابقة، وإضافة البحث العلمية.

وأما الفصل الأول: فعنوانه: مدلول الفعل المضارع ومعاني (قد).

وأما الفصل الثاني: فعنوانه: الفعل المضارع بعد (قد) في القرآن الكريم.

وأما الخاتمة: فقد انطوت على أبرز النتائج والتوصيات، وتبعت بالفهارس العلمية التي تخدم البحث.

المنهج المتبع في البحث: . أتبع في هذا البحث المنهج الاستقرائي، التحليلي، النقدي.

فهو استقرائي؛ لأني استقرأت كتب النحو، والبلاغة، والأدب، وأصول اللغة، وفقهها، ثم كتب التفسير وعلوم القرآن وغيرها؛ لأستكشف مدلول الفعل

المضارع عند العرب الذين تؤخذ منهم اللغة، وهم الذين نزل القرآن الكريم بلسانهم، وبأساليبهم، وعلى مذهبهم في التعبيرات لإفادة المعاني، ولأستكشف . أيضًا . معاني (قد) إذا جاءت قبل الفعل الماضي أو المضارع.

وهو تحليلي؛ لأني تناولت بالدراسة التحليلية كثيرًا من نصوص الشعر المأثورة عن العرب الذين يحتج بكلامهم؛ لأستكشف مذهبهم في المعاني التي تستفاد من الفعل المضارع بعد (قد)، ثم تناولت بالدراسة التحليلية الآيات الثمان في القرآن الكريم التي جاء فيها الفعل المضارع بعد (قد)؛ ليظهر من هذا كله وجه الحق، ويزول كل إشكال في مدلول الفعل المضارع بعد (قد) ومدلولها معه.

وهو نقدي؛ لأني ناقشت . في مدلول الفعل المضارع بعد (قد) . كل قول لا يتفق مع ما استفاض من نصوص عن العرب الخُلَّص، وجاء القرآن الكريم على نفس منهاجهم وأسلوبهم في ثمان آيات اقتضت كلُّ ما أحاط بها من ملابسات التوافقَ التام بين مدلول تلك الآيات وبين ما استفاض من كلام العرب.

ولما كان البحث العلمي لابد أن يعتمد على منهج مُتَّبع فإني أتبع في بحثي هذا المنهج الآتي:

١. أُؤصل مدلول الفعل المضارع في لغة العرب، والمواطن التي كانوا يستخدمونه فيها، ويؤثرونه على الفعل الماضي في تعبيراتهم، ثم أؤصل معاني (قد) عندهم، وهل هي . فعلًا . تفيد التقليل إذا جاء الفعل المضارع بعدها؟

٢ـ أجمع الآيات الثمان التي جاء فيها الفعل المضارع بعد (قد)، وأفسرها تفسيرًا تحليليًا، بالقدر الذي يساعد على إبراز مدلول الفعل المضارع في تلك الآيات، وعلى معاني (قد) معه.

٣. أناقش كل ما خالف ما استفاض من كلام العرب، وما دلت عليه آيات القرآن الكريم من مدلولات الفعل المضارع بعد (قد).

٤ـ أعزو . في أصل البحث . الآيات القرآنية إلى سورها، مع ذكر رقم الآية في السورة.

٥ـ أعتمد في الأحاديث الواردة في البحث على ذكر نصها من كتب المتون الحديثية، ولم أعتمد على نصوص الأحاديث المذكورة في كتب التفسير،

وكتب علوم القرآن وغيرها؛ لأن أصحابها . غالبًا . ما يذكرون الحديث بمعناه، أو يُدْخِلون بعض طرق الحديث في بعض.

٦. أُخَرِّج الأحاديث النبوية الواردة في البحث، وأذكر درجة كل حديث . إذا كان في غير الصحيحين، وأعتمد في الحكم على كل حديث على أقوال أرباب الصنعة الحديثية.

٧ـ أُخَرِّج الأقوال المأثورة عن الصحابة والتابعين من مصادرها الأصيلة ـ ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ..

٨. أُوَثِّق المادة العلمية توثيقًا علميًا دقيقًا من مصادرها الأصلية، وإذا نقلت كلامًا بنصه أضعه بين علامتي تنصيص هكذا :" ": ، وأذكر في الحاشية اسم المرجع غير مسبوق بكلمة (انظر)، أما إذا تصرفت في العبارة بزيادة أو اختصار لم أضع الكلام بين علامتي تنصيص، وأذكر في الحاشية اسم المرجع مسبوقًا بكلمة (انظر).

وبعد، فإني أستغفر الله الغفور الرحيم مما في هذا البحث من خطأ أو سهو أو زلل أو نسيان، وأُقِر أن هذا مني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء. ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **[الصافات: ١٨٠-١٨٢]**، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

الفصل الأول

مدلول الفعل المضارع ومعاني (قد)

مدلول الفعل المضارع: المضارع في اللغة: المُشابِه، يقال: ضارع فلان فلانًا، أي: شابهه، وشاكله، إذا صار مثله. وأصل المضارعة: تقابل الكبشين الصغيرين على ضَرْع الشاة عند الرضاع، يقال: تضارع الكبشان الصغيران؛ إذا أخذ كل واحد بحَلَمَة من الضرع، ثم اتسع، فقيل لكل مشتبهين: متضارعان، فهو مشتق من (الضرع)، والمراد: أنه ضارع الأسماءَ، أي: شابهها فأُعرب لما دخلت عليه الهمزة، والتاء، والياء، جعلته على صيغة صار بها مشابهًا للاسم، والمشابهة أوجبت له الإعراب(١).

والفعل المضارع هو: كل فعل دل على حدوث شيء في الزمن الحاضر أو المستقبل، وعلامته أن يأتي في صدره الهمزة، كأنا أفعل كذا، أو التاء كهي تفعل كذا، أو الياء كهو يفعل كذا(٢).

والخلاف طويل في كون الفعل المضارع دالًا على الحال أصالة، أو على الاستقبال، أو هو مشترك بين الزمانين، أو حقيقة في أحدهما، مجاز في الآخر(٣).

والراجح عند جمهور النحاة أن الفعل المضارع صالح للدلالة على الحال وعلى الاستقبال؛ لأنه لم يقم دليل على أنه أظهر في أحدهما؛ فكان مشتركًا بين الزمانين(٤).

---

(١) انظر العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٢٧٠/١، مادة (ض ر ع)، وشرح المفصل للزمخشري، تأليف: موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي ٢١٠/٤.

(٢) انظر المفصل في صنعة الإعراب لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري ص ٣٢١، والتخمير في شرح المفصل للزمخشري، تأليف: صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي ٢١١/٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٢١٠/٤، وفتح الأقفال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال المشهور بالشرح الكبير لجمال الدين محمد بن عمر المعروف ببَحْرَق ص ١٥٠.

(٣) انظر تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لمحب الدين محمد بن يوسف بن أحمد المعروف بناظر الجيش ١٨٣/١، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ٣٦/١.

(٤) انظر تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ١٨٣/١، وهمع الهوامع ٣٦/١.

وهو الظاهر من كلام سيبويه؛ حيث قال: "أما الفعل فأمثلة أُخذتْ من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيتْ لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع..."، ثم قال: "وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك آمِرًا: اذهَب، واقتُلْ، واضرِبْ، ومخبرًا: يَقْتُلُ، ويَذهَبُ، ويَضرِبُ، ويُقْتَلُ، ويُضرَبُ. وكذلك بناء ما لم يَنقطع وهو كائن إذا أخبرتَ"(١).اهـ.

فقد نص على أن الفعل المضارع مبني لهذا ولهذا، وهذا دليل على أنه يستعمل أصالة في الزمانين الحاضر والمستقبل(٢).

والقرائن هي التي تدل على زمن الفعل المضارع، فيدل على الحاضر اللام كقولك: إن زيدًا ليفعل كذا، ويدل على المستقبل السين وسوف(٣).

أما القرائن التي تنقله إلى الماضي فهي (لم)، و(لَمَّا)، و(إذ)، و(ربما)(٤).

أما إن تجرد الفعل المضارع عن القرائن التي تدل على الحال أو على الاستقبال دل على الزمن الحاضر(٥).

ورجح السهيلي أن الفعل المضارع يدل في الأصل على الزمن الحاضر حتى إن اقترنت به قرينة تدل على المستقبل مثل (غدًا)، و"ذلك على تقدير الحكاية له إذا وقع، والإشارة إلى صورة الفعل إذا جاء وقته، كما قال الله- سبحانه وتعالى-: "﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾" [الأنعام: ٢٧]، والوقوف مستقبل لا محالة، ولكن جاء بلفظ الماضي حكاية لحال يوم الحساب فيه، لا مرتب على وقوف قد ثبت، وكذلك قوله- تعالى-: "﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَآ﴾" [القصص: ٦٣] ، وهذا كثير في القرآن، الوقت مستقبل والفعل

(١) الكتاب لسيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي ١٢/١.

(٢) انظر تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ١٨٨/١.

(٣) انظر المفصل في صنعة الإعراب ص ٣٢١، والتخمير في شرح المفصل ٢١١/٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٢١٠/٤، وهمع الهوامع ٣٧/١.

(٤) انظر تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٢٠٤/١و٢٠٩. وهمع الهوامع: ٣٧/١.

(٥) انظر تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ١٩٢/١. وهمع الهوامع: ٣٧/١.

بلفظ الماضي، ونحو منه قوله- تعالى-: "﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾" [القصص: ١٥]، وهذا كله حكاية للحال؛ إذ ليس شيء منه حاضرًا، فكذلك: (يقوم زيد غدًا)، و(يذهب بعد غد)، هو حال على التقدير والتصوير لهيئته إذا وقع"(١).

ومن ثم ذكروا في حدِّ الفعل المضارع أنه: "كلمة دلت وضعًا على حدث وزمان غير منقض، حاضرًا كان أو مستقبلًا"(٢).

والقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، على مذهب العرب في كلامهم، متبعًا أساليبهم التي سلكوها في الخطاب، وهم كانوا يستعملون الفعل المضارع؛ للدلالة على أنَّ فاعله متصفٌ بذلك الوصف الذي دل عليه الفعل، وأنَّ هذا الوصف مستمر ومتجدد عنده في كل الأحوال والأزمان.

فيقال: فلان يحسن إلى الفقراء، ويعين الضعفاء، والمراد: أنه متصف بهذا الوصف على الدوام، فمن شأنه المستمر وجود الإحسان منه في جميع الأزمنة والأوقات، ولا يراد به حال ولا استقبال(٣).

وهكذا تفعل العرب في كلامها، فيأتون بالفعل المضارع؛ إذا كان في الحدث نوعُ خصوصية أو تمييز أو حال تستغرب، أو تهم المخاطب، أو غير ذلك، ومن هذا قول الشاعر:

"**فَمَن يُنْكِرْ وُجُودَ الغُولِ إِنِّي ... أُخَبِّرُ عَن يَقِينٍ بَلْ عِيَانِ**

بِأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الْغُولَ تَهْوِي ... بِسَهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانِ

فَأَضْرِبُهَا بِلَا دَهَشٍ فَخَرَّتْ ... صَرِيعًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ"(٤).

---

(١) نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السُّهَيلي ص ٩٣. وانظر همع الهوامع ٣٦/١.

(٢) شرح كتاب الحدود في علم النحو لعبدالله بن أحمد الفاكهي النحوي المكي ص ٩٩.

(٣) انظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود بن عمرو الزمخشري١٥١/٣، ومفاتيح الغيب (التفسير الكبير) لأبي عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي فخر الدين الرازي ٢١٦/٢٣.

(٤) البيت لشاعر جاهلي اسمه ثابت بن جابر بن سفيان، واشتهر باسم (تأبط شرًا)، انظر ديوانه ص ٢٢٤و٢٢٥، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين نصرالله بن محمد =

فإنه عدل فيه إلى المضارع: (فأضربها بلا دهش) قصدًا إلى أن يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بضرب الغول، كأنه ببصرهم إياها ويطلعهم على كنهها، ويتطلب منهم مشاهدتها، تعجيبًا من جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة"(١).

" فإن قيل: إن الفعل الماضي- أيضًا- يتخيل منه السامع ما يتخيله من المستقبل!. قلت في الجواب: إن التخيل يقع في الفعلين معًا، لكنه في أحدهما-

---

=

بن الأثير ١٤٧/٢، والدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدمر المستعصمي ٩٧/٥، وصبح الأعشى في صناعة الإنشاء لأحمد بن علي القلقشندي ٤٦٢/١.

والعِيَان: المشاهدة بالعين، وتَهْوِي: تهبط، والمراد: سرعة العدو. والسَّهَب . بالفتح .: الفضاء المستوي البعيد الأطراف. والصحيفة: الكتاب. والصحصحان . بالفتح .: المستوي من الأرض، والجِرَان: مقدم عظم العنق.

يقول: فمن ينكر وجود الغول فقد كذب، فإني أخبر عن يقين، وهو ما كان بدليل قاطع مشاهدة بالعين، بأنى قد لقيتها تسرع في مكان متسع مستو، فجعلت أضربها بلا خوف، فسقطت مطروحة على يديها وعنقها. وكان الظاهر أن يقول: (فضربتها)، لكن عدل إلى المضارع ليحكي الحال الماضية كأنها موجودة الآن مشاهدة فيتعجب منها، وتعلم شجاعته، لاستحضار تلك الصورة العجيبة من إقدامه وثباته حتى كأنهم يبصرونه في تلك الحالة. انظر المثل السائر ١٤٧/٢، والإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين أبي المعالي محمد بن عبدالرحمن بن عمر القزويني ١٢٧/٢، والفصول المفيدة في الواو المزيدة لصلاح الدين أبي سعيد خليل بن كيكلدي بن عبدالله الدمشقي العلائي ص ١٧٢، وتحقيق الفوائد الغياثية لشمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني ١٤٧/١، وفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) لشرف الدين الحسين بن عبدالله الطيبي ٦١٣/١٢، والشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم أهميته وأثره ومناهج المفسرين في الاستشهاد به للدكتور: عبدالرحمن بن معاضة الشهري ص ٨٥٣.

(١) مفتاح العلوم لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي ص ٢٤٧، وانظر الكشاف ٦٠١/٣، والبحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي ١٦/٩، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي ٢١٥/٤، وتحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد(التحرير والتنوير) لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي ٢٦٨/٢٢.

وهو المستقبل- أوكد وأشد تخيلًا؛ لأنه يستحضر صورة الفعل؛ حتى كأن السامع ينظر إلى فاعلها في حال وجود الفعل منه، ألا ترى أنه لما قال تأبط شرًا: (فأضربها)؛ تخيل السامع أنه مباشر للفعل، وأنه قائم بإزاء الغول، وقد رفع سيفه ليضربها، وهذا لا يوجد في الفعل الماضي؛ لأنه لا يتخيل السامع منه إلا فعلًا قد مضى من غير إحضار للصورة في حالة سماع الكلام الدال عليه، وهذا لا خلاف فيه"[(١)].

ومن هذا الأسلوب الإتيان بالفعل المضارع بين اسمي الفاعل في قول الله- تعالى-: "﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ﴾" **[الأنعام: ٩٥]**، فكان الأصل أن يأتي بصيغة اسم الفاعل (مخرج الحي من الميت) أسوة بمثيله في الآية في قوله: "﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ﴾"، وقوله: "﴿وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ﴾" لكنه عدل عن هذا إلى الفعل المضارع في هذا الوصف وحده فقال: "﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾"؛ لتصوير إخراج الحي من الميت واستحضاره في ذهن السامع كأنه يشاهده ويراه بعينيه، ولا يتحقق هذا إلا بالفعل المضارع دون اسم الفاعل، ودون الفعل الماضي، وإنما يُسْلَك هذا الأسلوب فيما تكون العناية فيه أقوى، ولا شك أنَّ إخراج الحي من الميت أشد دلالة على القدرة دون عكسه، وهو- أيضًا- أول الحالين، وأول ما يبدأ النظر يكون فيه، ثم القسم الثاني يكون بعده، فكان الأول أجدر بالتأكيد وبالتصوير في النفس، ولهذا كان هو المقدم في الذكر على القسم الآخر حسب ترتبهما في الوقوع[(٢)].

والأصل في كلام العرب أن يعطفوا الفعل على الفعل بشرط أن يتحدا في الزمان، والأحسن في هذه الحالة اتحادهما في الصيغة، نحو: زيد قام وخرج، وزيد يقوم ويخرج، ولا تقول: (زيد قام ويخرج)، على أن يكون من عطف الفعل على الفعل؛ لأن هذا العطف معدود من عطف المفرد على المفرد، فإذا اختلفا في الزمان صار من عطف الجمل، والعرب تسلك هذا المسلك فتنتقل من صيغة

(١) المثل السائر ١٤٧/٢.

(٢) انظر روح المعاني ٢١٤/٤و ٢١٥.

الماضي إلى صيغة المضارع ليس طلبًا للتوسع في أساليب الكلام فقط، بل لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاها في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على أسرارها، وفتش عن دفائنها، ولا تجد ذلك في كل كلام؛ فإنه من أشكل ضروب علم البيان، وأغمضها طريقًا، وأدقها فهمًا، فمَنِ انتقل من صيغة الفعل الماضي إلى صيغة الفعل المضارع إنما يقصد إليه تعظيمًا لذلك الحدث الذي دلَّ عليه الفعل المضارع، وتعظيمًا لحال مَنْ صدر منه الفعل، وتعظيمًا لحال مَنْ أجري عليه، وتفخيمًا لشأنه، كما تقول: أنعم عَلَّي فلان، فأروح وأغدو شاكرًا، ولو قلت: فغدوت شاكرًا له، لم يفد تلك الفائدة(١).

فالإتيان بالمضارع مكان الماضي؛ لإحضار صورة الفعل أمام السامع؛ حتى كأنه ينظر إليه ويراه، والفعل الماضي لا يثير تلك الحالة؛ إذ إن سامعه يكتفي بأن يتخيل فعلًا قد مضى، وربما لا يستحضر صورته أو تكرره، خذ- مثلًا- قول الله- تعالى-: "﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾" [البقرة: ٨٧]، تجد الفعل المضارع "﴿تَقْتُلُونَ﴾" قد أحضر جريمتهم في الذهن، وصورها تصويرًا حاضرًا كأنهم يرتكبونها أمام أعين السامع، وفي ذلك من التشنيع عليهم ما فيه(٢).

واقرأ قول الله- تعالى-: "**﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾**" **[الحج: ٢٥]**، تجد الفعل "**﴿كَفَرُواْ﴾**" جاء ماضيًا؛ للدلالة على أن كفرهم صار كاللقب لهم، فهو متأصل فيهم، وهو ثابت مستقر، ولم يستجدوا بعده كفرًا ثانيًا، ثم عطف عليه

(١) انظر المثل السائر ١٤٤/٢، وارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي ٢٠٢٣/٤، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد٣٥١٦/٧، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٤٢/١، والطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للمؤيد باللَّه يحيى بن حمزة بن علي الطالبي ٧٤/٢، والإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، من مناهج جامعة المدينة العالمية بالسعودية، بدون اسم مؤلف ص ٤٦١.

(٢) انظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لأبي محمد جمال الدين عبدالله بن يوسف بن أحمد بن هشام ص ٩٠٥، ومن بلاغة القرآن لأحمد عبدالله البيلي البدوي ص ٨٩.

الفعل "﴿يَصُدُّونَ﴾"؛ للدلالة على أن الصدود تكرر منهم، وهو مستمر دائم لكل مَنْ يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين أهل مكة أو غيرهم، فصدهم عن سبيل الله متجدد على تكرر الساعات، وممر الأوقات، وكأن الله- سبحانه- قال: إن الذين كفروا فيما مضى وهم الآن يصدون مع ما تقدم من كفرهم، هذا فضلًا عما أفاده الفعل المضارع من استحضار الصورة في ذهن السامع؛ تهويلًا لشناعة الصد عن سبيل الله الذي هو الإسلام، مع أن في الفعل المضارع إشعارًا بالتكثير، فيشعر قوله: "﴿وَيَصُدُّونَ﴾" أنهم في كل وقت يصدر منهم هذا الصد، ولو قال: (وصدوا)؛ لأشعر الفعل الماضي انقطاع صدهم، ونظير ذلك قول الله- تعالى-: "﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾" [الرعد: ٢٨]، أي: حققوا الإيمان، ثم أصبح من صفتهم ومن عادتهم المستمرة أن تطمئن قلوبهم بذكر الله(١).

قال الإمام البقاعي- رحمه الله-: "لما كان المضارع قد لا يلحظ منه زمان معين من حال أو استقبال، بل يكون المقصود منه الدلالة على مجرد الاستمرار، كقولهم: فلان يعطي ويمنع، قال- عاطفًا له على الماضي-: "﴿وَيَصُدُّونَ﴾"، أي: ويديمون الصد عن سبيل الله"(٢).اهـ.

---

(١) انظر جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري ١٩٧/١٨، والبسيط في التفسير لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي٣٤٠/١٥، والكشاف١٥١/٣، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي ١١٥/٤، ومفاتيح الغيب٢١٦/٢٣، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ٦٩/٤، وتفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ٤٠٩/٥، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي١٠٣/٦، وروح المعاني ١٣٢/٩، والتحرير والتنوير ١٣٦/١٧، ومعاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء٢٢٠/٢، والبرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي ٣٣٦/٣، والطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٧٤/٢، والإعجاز اللغوي في القرآن الكريم ص ٤٦٤.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي ٣٣/١٣.

ومثل ذلك– أيضًا– قول الله– تعالى–: "﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾" [الحج: ٦٣]؛ حيث جاء بالفعل المضارع "﴿فَتُصْبِحُ﴾" عطفًا على الفعل الماضي الذي قبله "﴿أَنزَلَ﴾"، ولم يقل: (فأصبحت)؛ لأنه قصد من المضارع استحضار صورة الاخضرار العجيبة الحسنة، وللمبالغة في تحقيق اخضرار الأرض؛ لأهميته إذ هو المقصود بإنزال الماء، وللدلالة على أن إنزال الماء قد مضى وانقضى، أما اخضرار الأرض فهو يتجدد ويستمر ويكثر بمرور الأيام؛ تنبيهًا على عظمة النعمة بطول زمان أثر المطر، وتجدد نفعه بما فيه من رزق العباد، وعَمَار البلاد(١).

قال الزمخشري: "إن قلت: هلَّا قيل: (فأصبحت)؟ ولِمَ صرف إلى لفظ المضارع؟ قلت: لنكتة فيه، وهي إفادة بقاء أثر المطر زمانًا بعد زمان، كما تقول: أنعم عليَّ فلان عام كذا، فأروح وأغدو شاكرًا له. ولو قلت: فرحت وغدوت، لم يقع ذلك الموقع"(٢).اهـ.

ومن هذا الباب– أيضًا– قول الله– سبحانه–: "﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾" [فاطر: ٩] ، فجاء قوله: "﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾"، بصيغة المضارع والاستقبال متوسطًا بين فعلين ماضيين، وهما قوله: "﴿أَرْسَلَ﴾"، "﴿فَسُقْنَٰهُ﴾"؛ لأن الفعل المضارع يوضح الحال، ويستحضر هذه الصورة؛ حتى كأن الإنسان يراها بعينيه، والفعل الماضي ليس كذلك إذا عطف؛ لأنه لا يدل على هذا المعنى ولا يعطيه، لكن الفعل المضارع: "﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾" يحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياحِ السحابَ،

(١) انظر المحرر الوجيز ١٣١/٤، ومفاتيح الغيب ٢٤٧/٢٣، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٧٧/٤، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبدالله بن أحمد النسفي ٤٥١/٢، ونظم الدرر ٨٢/١٣، وإرشاد العقل السليم ١١٧/٦، وروح المعاني ١٨٢/٩، والتحرير والتنوير ٣١٨/١٧، والبرهان في علوم القرآن ٣٧٤/٣، ومفتاح العلوم ص ٢٤٧، وارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي ٢٠٢٣/٤، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٤٢/١، والطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٧٤/٢.

(٢) الكشاف ١٦٨/٣.

ويستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الباهرة، ثم هو يدل على استمرار تلك الإثارة وتجددها[١].

معاني (قد)

ذكر العلماء لـ(قد) الحرفية[٢] خمسة معان: التأكيد والتحقيق، والتكثير، والتقريب، والتوقع، والتقليل[٣].

المعنى الأول: (قد) للتوكيد والتحقيق: وهو أصل معناها، فتدخل على كل من الفعل الماضي والفعل المضارع؛ لتقرير معناه، ونفي الشك عنه، فهي مع الفعل بمنزلة (إنَّ) مع الأسماء؛ ولذا قيل: إنه لا يؤتى بها في شيء إلا إذا كان السامع متشوقًا إلى سماعه، كقولك لمَنْ يتشوق [إلى] سماع قدوم زيد: قد قدم زيد، فإن لم يكن ذلك التشوق لم يحسن المجيء بها، بل تقول: قام زيد.

و(قد) تفيد التأكيد والتحقيق مع الفعل الماضي، مثل قول الله- تعالى-: "﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾" [الشمس: ٩]، أي: نؤكد إثبات فلاح مَنْ زكى نفسه،

(١) انظر الكشاف ٦٠١/٣، ومفاتيح الغيب٢٢٥/٢٦، وأنوار التنزيل للبيضاوي ٢٥٥/٤، والبحر المحيط في التفسير ١٦/٩، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبي العباس أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي ٢١٦/٩، وإرشاد العقل السليم ١٤٥/٧، وروح المعاني ٣٤٤/١١، والتحرير والتنوير ٢٦٨/٢٢، ومن بلاغة القرآن ص ٨٩، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب ص ٩٠٥، والإيضاح في علوم البلاغة ١٢٧/٢، والطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٧٤/٢.

(٢) قالوا: (قد) الحرفية احترازًا من (قد) الاسمية، وهي التي تكون بمعنى (حَسْب)، تقول: قدني، بمعنى: حسبي، ويجوز فيها إثبات نون الوقاية، وحذفها، والياء المتصلة بها في الحالين مجرورة الموضع بالإضافة، وتكون (قد) الاسمية . أيضًا . اسم فعل بمعنى (كفى)، فيتم بها الكلام مع الفاعل، ولا يبرز معها ضميره، وتنصب المفعول مؤخرًا كقولك: قد زيدًا درهمان، ويلزمها نون الوقاية، مع ياء المتكلم التي تكون في موضع نصب، فتقول: قدني درهمان. انظر الجنى الداني في حروف المعاني لأبي محمد الحسن بن قاسم المرادي ص ٢٥٣، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ٤٤٦٤/٩، وشرح قواعد الإعراب لابن هشام، تأليف: محمد بن مصطفى القُوجَوي (شيخ زاده) ١٤٢/١.

(٣) انظر الجنى الداني ص ٢٥٦و٢٥٩، والبرهان في علوم القرآن ٣٠٥/٤ و ٣٠٨.

وقوله: "﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾" [ق: ٤]، أي: نؤكد تحقق هذا العلم، وقوله: "﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾" [آل عمران: ١٠١]، معناه: حصل له الهدى لا محالة.

وتفيد التأكيد والتحقيق- أيضًا- مع الفعل المضارع، مثل قول الله ـ تعالى ـ: "﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾" [النور: ٦٣]، أي: نؤكد تحقق حصول هذا العلم، وقوله: "﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾" [الأنعام: ٣٣]، أي: نؤكد تحقق حصول علمنا بكل ما يحزنك حينًا بعد حين مما يقول الكافرون[١].

قال بعضهم عند تفسير هذه الآية: "لا تستعمل (قد) مع الفعل المضارع للتحقيق إلا عند كون الأمر في غاية الوضوح، بحيث لا يخطر على البال إرادة التقليل، ويكون التعبير بالمضارع لنكتة بلاغية كإرادة التجدد، أي: قد علمنا ما يتجدد لك من الحزن والغم عندما يتجدد منهم ما يتجدد من سوء قولهم لك وتكذيبهم إياك"[٢].اهـ.

<u>المعنى الثاني: (قد) للتقريب</u>: ـ اختصت (قد) بالفعل؛ لأنها وضعت لمعنى لا يصح إلا فيه، وهو تقريب الماضي من الحال، فالفعل الماضي قد يكون قد وقع في الماضي البعيد، وقد يكون قد وقع في الماضي القريب، فتدخل (قد)؛ لتدل على أنه قد وقع منذ زمن قريب، ولذلك يحسن وقوع الماضي بموضع الحال إذا كان معه (قد)، نحوَ قولك: رأيتُ زيدًا قد عزم على الخروج، أي: عازمًا، وكقول المؤذِّن: قد قامت الصلاة، أي: قد حان وقتها في هذا الزمان، ومنه قول الله-

(١) انظر الكتاب لسيبويه ٢٢٣/٤، والمفصل في صنعة الإعراب ص ٤٣٣، وشرح التسهيل لجمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك ٢٩/١، والجنى الداني ص ٢٥٩، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب ص٢٣١، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ٤٤٦٦/٩، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٥٩٦/٢، وشرح قواعد الإعراب ١٤٣/١، والكشاف ٣٩٣/١، والتحرير والتنوير ٢٦/٢، و ١٩٦/٧، والبرهان في علوم القرآن ٤١٧/٢ و ٤١٨.

(٢) تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما ألحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل للشيخ: عبد القادر شيبة الحمد ٣٥٣/٤.

تعالى-: "﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾" [الأنعام: ١١٩].

فجواب القسم بالماضي المتصرف المثبت إن كان قريبًا من زمن الحال دخلت عليه (قد) واللام، نحو: والله لقد قام زيد، وإن كان بعيدًا لم تدخل، نحو والله لقام زيد(١).

المعنى الثالث: (قد) للتوقع: أي: انتظار وقوع الفعل، وذلك مع المضارع كقولك: قد يقدم الغائب اليوم، إذا كنت تتوقع قدومه، ومع الماضي، فيقال: (قد فعل) لقوم ينتظرون الخبر، ومنه قول المؤذِّن: قد قامت الصلاة؛ لأن الجماعة منتظرون لذلك، ومنه قول الله- تعالى-: "﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾" [المجادلة: ١]؛ لأنها كانت تتوقع إجابة لدعائها(٢).

وأنكر بعض النحاة إفادة (قد) للتوقع مع الفعل الماضي؛ فإن الماضي قد مضى، والتوقع والانتظار إنما يكونان لما لم يقع(٣).

وأجيب: بأن مراد المثبتين لذلك أنها تدل على أن الفعل الماضي كان قبل الإخبار به متوقعًا منتظرًا قبل وقوعه، وليس المراد أنه متوقع الآن بعد وقوع الفعل(١).

---

(١) انظر اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العُكْبَري ٤٩/١، والتخمير في شرح المفصل في صنعة الإعراب ١٣٣/٤، وشرح المفصل لابن يعيش ٩٢/٥، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب ص ٢٢٨، والجنى الداني في حروف المعاني ص ٢٥٦، والبرهان في علوم القرآن ٣٠٦/٤، والإتقان ٢٥١/٢.

(٢) "عَنْ خُوَيْلَةَ بِنْتِ مَالِكِ بْنِ ثَعْلَبَةَ قَالَتْ: ظَاهَرَ مِنِّي زَوْجِي أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ فَجِئْتُ رَسُولَ اللهِ . ﷺ . أَشْكُو إِلَيْهِ، وَرَسُولُ اللهِ . ﷺ . يُجَادِلُنِي فِيهِ، وَيَقُولُ: اتَّقِي اللهَ فَإِنَّهُ ابْنُ عَمِّكِ، فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ: "﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾" [المجادلة: ١]. أخرجه أبوداود في سننه٢٦٦/٧، كتاب: النكاح، باب: في الظهار، برقم (٢٢١٤)، وأحمد في المسند ٢٧٣١٩/٤٥، برقم (٢٧٣١٩)، وأصله معلق من حديث عائشة- رضي الله عنها- في صحيح البخاري ١١٧/٩، كتاب: التوحيد، باب: قول الله . تعالى .: "﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾" [النساء: ١٣٤].

(٣) انظر الجنى الداني في حروف المعاني ص ٢٥٥، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ٤٤٦٩/٩.

فتوقع حدوث الفعل إما أن يكون عند المتكلم، وحينئذ يكون الفعل خالصًا للاستقبال، كقولك: قد يقوم زيد، وقد ينزل المطر في شهر كذا، وإما أن يكون التوقع عند السامع، فيخبره المتكلم بالفعل الماضي، فيقول: قد قامت الصلاة، أي: أن الشيء الذي كنت تتوقعه قد حصل(٢).

والخلاصة أن (قد) إذا دخلت على الماضي أثرت فيه معنيين: تقريبه من زمن الحال، وجعله خبرًا متوقعًا منتظرًا فهي تفيد المعنيين معًا في الفعل الواحد، فلا يقال: إن معنى التقريب ينافي معنى التوقع، وكلام الزمخشري في المفصل يدل على أن التقريب لا ينفك عن معنى التوقع، حيث قال: "(قد) للتحقيق والتقريب، قد تقرب الماضي من الحال؛ إذا قلت: قد فعل، ومنه قول المؤذِّن: قد قامت الصلاة لا بد فيه من معنى التوقع"(٣).اهـ.

المعنى الرابع: (قد) للتكثير: وذلك عندما تدخل على الفعل المضارع في مثل قولهم: قد يجود الكريم؛ فتفيد كثرة وقوع الفعل من فاعله، مما يعطي الفعل قوة وتأكيدًا(٤).

=

(١) انظر مغني اللبيب ص ٢٢٧، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٥٩٦/٢، وشرح قواعد الإعراب ١٤٤/١.

(٢) انظر الكتاب لسيبويه ٢٢٣/٤، والأصول في النحو لأبي بكر محمد بن السَّرِي النحوي، المعروف بابن السراج ٢١١/٢، والمفصل في صنعة الإعراب ص ٤٣٣، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب ص ٢٢٧، وشرح المفصل لابن يعيش ٩٢/٥، والجنى الداني ص ٢٥٦، والمحرر الوجيز ٢٨٥/٢، والبرهان في علوم القرآن ٣٠٥/٤، والإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ٢٥١/٢.

(٣) المفصل في صنعة الإعراب ص ٤٣٣، وانظر شرح المفصل لابن يعيش ٩٢/٥، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ٤٤٦٥/٩، والبرهان في علوم القرآن ٣٠٧/٤.

(٤) انظر الكتاب لسيبويه ٢٢٤/٤، والتخمير شرح المفصل في صنعة الإعراب ١٠٩/١، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب ص ٢٣١، والجنى الداني ص ٢٥٨، وهمع الهوامع ٥٩٦/٢، وشرح قواعد الإعراب ١٤٨/١، وفتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية، تأليف: أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي ص ٧٤، والبرهان في علوم القرآن ٣٠٨/٤، والإتقان ٢٥١/٢.

وقد قرر غير واحد أنَّ (قد) في إفادتها التكثير مثل (ربما) التي تفيد التكثير- أيضًا-، وأن إفادتها للتكثير هو الأصل، واستعمالها في التقليل كالمجاز المحتاج إلى القرينة؛ لأن (ما) التي اتصلت بـ (رب) للتوكيد، فيتأكد بها معنى ما يتصل به (ما)[١].

قال ابن مالك: "قد هُدِي الزمخشري إلى الحق في معنى (ربما)، فقال في تفسير: "﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾" [البقرة: ١٤٤]: "﴿قَدْ نَرَىٰ﴾": ربما نرى، ومعناه: كثرة الرؤية[٢]، وقال: (قد) في: "﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ﴾" [الأنعام: ٣٣] بمعنى (ربما) الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته[٣]، وقال في: "﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾" [النور: ٦٤]: أدخل (قد) لتوكيد علمه بما هم عليه؛ وذلك أنَّ (قد) إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى (ربما)، فوافقت (ربما) في خروجها إلى معنى التكثير[٤]..، وكلامه في هذا سديد أداه إليه ترك التقليد"[٥].اهـ.

وقد جاءت (ربما) في موضع واحد في القرآن الكريم؛ حيث يقول الله- تعالى-: "﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾" [الحجر: ٢]، وفي زمان هذا التمني ثلاثة أقوال:

القول الأول: إنَّ هذا يكون في الدنيا عندما يحضر الكافرين الموت، ويتبين لهم الهدى من الضلال، يودون أن لو كانوا مسلمين[٦].

---

(١) انظر الكتاب لسيبويه ٢٢٤/٤، والمقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد، المعروف بالمبرد ٤٣/١، والمخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ٢٣٢/٤، والتخمير شرح المفصل في صنعة الإعراب ١٠٩/١، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ٢٠٩/١و٢١٢، وشرح قواعد الإعراب ١٤٨/١، ومعاني النحو للدكتور: فاضل صالح السامرائي٣٨/٣، والموسوعة القرآنية خصائص السور لجعفر شرف الدين ٤٠/٣.

(٢) انظر الكشاف ٢٠١/١.

(٣) انظر المصدر السابق ١٧/٢.

(٤) انظر المصدر السابق ٢٦٠/٣.

(٥) شرح التسهيل لابن مالك ١٨٠/٣.

(٦) انظر جامع البيان للطبري ٦٤/١٧، والتفسير البسيط للواحدي ٥٣٨/١٢، والكشاف ٥٦٩/٢، وإرشاد العقل السليم ٦٤/٥.

القول الثاني: إنَّه يحدث هذا التمني في موقف يوم القيامة؛ إذا رأوا كرامة المؤمنين، وذلَّ الكافرين(١).

القول الثالث: إنَّه يحدث هذا التمني في النار، حينما يدخل عصاة المسلمين النار ثم يخرجون منها ويبقى الكافرون فيها، فيتمنون أن لو كانوا مسلمين، فيخرجوا كما خرج هؤلاء المسلمون(٢).

كما في حديث: "أَبِي مُوسَى- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ . ﷺ .: إِذَا اجْتَمَعَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ وَمَعَهُمْ مَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ يَقُولُ الْكُفَّارُ: أَلَمْ تَكُونُوا مُسْلِمِينَ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالُوا: فَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ إِسْلامُكُمْ وَقَدْ صِرْتُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ؟ قَالُوا: كَانَتْ لَنَا ذُنُوبٌ فَأُخِذْنَا بِهَا. فَسَمِعَ اللَّهُ مَا قَالُوا، قَالَ: فَأَمَرَ اللَّهُ بِمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ فَأُخْرِجُوا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ قَالُوا: يَا لَيْتَنَا كُنَّا مُسْلِمِينَ فَنَخْرُجُ كَمَا خَرَجُوا. قَالَ: وَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ .: "﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾" [الحجر: ١-٢]"(٣).

قال الزجاج: "الذي أراه- واللَّه أعلم- أن الكافر كلما رأى حالًا من أحوال العذاب ورأى حالًا عليها أحوال المسلم وَدَّ لو كان مُسْلِمًا، فهذه الأحوال كلها تحتملها الآية"(٤).اهـ.

---

(١) انظر جامع البيان ٦٤/١٧، والكشاف ٥٦٩/٢، وإرشاد العقل السليم ٦٤/٥.

(٢) انظر جامع البيان للطبري ٦٤/١٧، والهداية الى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه لمكي بن أبي طالب حَمُّوش بن محمد بن مختار القيسي ٣٨٦٠/٦، والتفسير البسيط للواحدي ٥٣٦/١٢، والكشاف ٥٦٩/٢، وإرشاد العقل السليم ٦٤/٥.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٦٥/٢، كتاب: التفسير، باب: من قراءات النبي . ﷺ .، برقم (٢٩٥٤)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاه".اهـ، ووافقه الذهبي في التلخيص، وابن أبي عاصم في السنة ٤٠٥/٢، وصححه محققه محمد بن ناصر، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٥٥/٧، برقم (١٢٣٢٤)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٤٥/٧، وصححه.

(٤) معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السَّرِي الزجاج١٧٢/٣، وانظر البسيط في التفسير للواحدي ٥٣٨/١٢.

وقال ابن كثير: "قوله: "﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾" إخبار عنهم أنهم سيندمون على ما كانوا فيه من الكفر، ويتمنون لو كانوا مع المسلمين في الدار الدنيا"[(١)].اهـ.

وقد نقل الطبري عن بعض أهل اللغة أن العرب لا تكاد توقع (ربما) على مستقبل، وإنما يوقعونها على الماضي من الفعل كقولهم: ربما فعلت كذا، وربما جاءني أخوك[(٢)]. ولكن الطبري قال ما خلاصته: "يجوز أن يصحب (ربما) الفعل المضارع؛ للدلالة على دوام الفعل وكثرته، كما يقال: ربما يموت الرجل فلا يوجد له كفن، وجاء في القرآن مع المستقبل: "﴿رُّبَمَا يَوَدُّ﴾"، وإنما جاز ذلك؛ لأن ما كان في القرآن من وعد ووعيد وما فيه، فهو حق كأنه عيان؛ فكان الفعل المضارع الدال على استحضار الصورة، وتجددها، وكثرة وقوعها أليق بهذا المقام"[(٣)].

ولله دَرُّ الإمام الرازي حينما قال: "قول هؤلاء الأدباء: إنه لا يجوز دخول هذه الكلمة على الفعل المستقبل، لا يمكن تصحيحه بالدليل العقلي، وإنما الرجوع فيه إلى النقل والاستعمال، ولو أنهم وجدوا بيتًا مشتملًا على هذا الاستعمال؛ لقالوا: إنَّه جائز صحيح، وكلام الله أقوى وأجلُّ وأشرف، فلِمَ لَمْ يتمسكوا بوروده في هذه الآية على جوازه وصحته!؟"[(٤)].اهـ.

وقال الإمام البقاعي: "أشار – تعالى – بكونه مضارعًا إلى أنَّ ودهم لذلك يكون كثيرًا جدًا متكررًا، وإيلاءه لـ(ربما) – وإنما يليها في الأغلب الماضي – معلم بأنه مقطوع به كما يقطع بالماضي الذي تحقق ووقع..، وقد كان ما أخبر الله به فقد ندم كل مَنْ أسلم من الصحابة على تأخير إسلامه لما علموا فضل الإسلام

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٢٤/٤.

(٢) انظر التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي ١٠٨/١.

(٣) انظر جامع البيان ٦٠/١٧، وانظر – أيضًا – البسيط في التفسير للواحدي ٥٣٢/١٢ وما بعدها. والكشاف ٥٦٩/٢.

(٤) مفاتيح الغيب ١١٨/١٩.

ورأوا فضائل السابقين- كما هو مذكور في السير وفتوح البلدان- وسيكون ما شاء من ذلك في القيامة وما قبلها"[(١)].اهـ.

المعنى الخامس: (قد) للتقليل: وذلك إذا دخلت على الفعل المضارع، فذلك الفعل يكون في حالة دون حالة، أي: لا يقع إلا قليلًا، ومثلوا له بقول القائل: قد يصدق الكذوب، وقد يجود البخيل، فـ(قد) في المثالين تدل على قلة وقوع الصدق من الكذوب، وقلة وقوع الجود من البخيل[(٢)].

وادعى بعضهم أنَّ (قد) تفيد التقليل؛ إذا دخلت على المضارع، في مثل قول الله- تعالى-: "﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾" [الأحزاب: ١٨]، وقوله: "﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾" [النور: ٦٣، ٦٤] ، وقوله: "﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ﴾" [الأنعام: ٣٣]، كل هذا يفيد التقليل لكن المراد تقليل متعلق الفعل من غير نظر إلى قلة وقوع الفعل أو كثرته، فـ(قد) في قوله: "﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾" تحقيقية باعتبار وقوع الفعل، وتقليلية باعتبار متعلقة، أي: ما أنتم عليه هو أقل معلوماته . سبحانه .[(٣)].

"فما هذا حاله دال على القلة؛ لأن المضارع إذا لصق به (قد) فهو دال على القلة، والغرض التكثير والتحقيق؛ للعلم بما ذكره، وإنما أورده على جهة

---

(١) نظم الدرر ١١/١١ وما بعدها.

(٢) انظر اللباب في علل البناء والإعراب ٤٩/١، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب ص ٢٣٠، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ٤٤٦٥/٩، وشرح قواعد الإعراب ١٤٧/١، وفتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية ص ٧٤، والمفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ص ٦٥٧، والبرهان في علوم القرآن ٣٠٧/٤و٣٠٩، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي ٢٤٢/٤.

(٣) انظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ص ٢٣٠، وشرح قواعد الإعراب ١٤٧/١، والدر المصون ٤٤٧/٨، والبرهان في علوم القرآن ٣٠٧/٤.

التهكم بهم، والاستهانة بحالهم؛ حيث أسروا الخداع والمكر؛ جهلًا بأن الله- تعالى- غير مطلع على تلك الخفايا، ولا محيط بتيك السرائر، فأورده على جهة التقليل، والغرض به التحقيق؛ انتقاصًا بحالهم في ظنهم لما ظنوه من ذلك"[(١)].

وقيل: (قد) تدل على التقليل مع المضارع إلا في أفعال الله- تعالى-[(٢)].

قلت: الصحيح أنَّ (قد) تفيد التحقيق والتكثير حتى مع دخولها على الفعل المضارع، وسواء كان هذا الفعل من أفعال الله، أو من أفعال المخلوقين، ويدل على هذا أوجه:

الوجه الأول: أنَّ المثالين المذكورين: (قد يصدق الكذوب، وقد يجود البخيل)، لم يُؤْثَر مثلهما ولا مثل تركيبهما في كلام العرب الذين يحتج بكلامهم، بل هما مثلان مولدان ابتكرهما مَنْ أراد إثبات كون (قد) مفيدة للتقليل.

ثم إنَّ التقليل لم يستفد من (قد)، بل من قولك: البخيل يجود، والكذوب يصدق؛ لأن الحكم على مَنْ شأنه البخل بالجود وعلى مَنْ شأنه الكذب بالصدق إن لم يحمل ذلك على صدور ذلك قليلًا كان الكلام كذبًا؛ لأن آخره يدفع أوله؛ لأن (البخيل) و(الكذوب) صيغة مبالغة، فيدل على كثرة البخل والكذب، فلو لم يحمل (يصدق) و(يجود) على القلة؛ للزم التدافع[(٣)].

الوجه الثاني: ما ادعاه بعضهم من أنَّ التقليل في الفعل المضارع بعد (قد) ليس هو في تقليل الفعل بل في تقليل متعلقه، بقصد التهكم بالمخاطبين- على الوجه الذي سبق شرحه في كلامهم- ادعاء قد بلغ من التكلف غايته؛ إذ حاصله أنَّ أفعال وأقوال وتصرفات هؤلاء المُتَهَكَّم بهم قليلة حقيرة، مما يترتب عليه قلة علم الله- تعالى- بها.

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٩١/٣.

(٢) انظر الدر المصون ٤٤٧/٨، واللباب في علوم الكتاب لسراج الدين عمر بن علي بن عادل ٤٦٦/١٤.

(٣) انظر الجنى الداني في حروف المعاني ص ٢٥٨، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ص ٢٣١، وشرح قواعد الإعراب ١٤٧/١، وتاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي ٢١/٩، والبرهان في علوم القرآن ٣٠٧/٤.

وهذا لعمري تكلف واضح جلي، ثم إنَّ أمكن حمل بعض الآيات عليه فلا يستقيم أبدًا حمل الآيات الأخرى عليه؛ إذ كيف نقول في قول الله- تعالى-: "﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾" [البقرة: ١٤٤]، هل معناها أنَّ تقلب وجه النبي . ﷺ . في السماء رغبة في تحويل القبلة كان قليلًا مما ترتب عليه تقليل رؤية الله لذلك؟!

وكذلك في قول الله- تعالى-: "﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾" [الحجر: ٩٧]، هل معناها: أنَّ ما قالوه في حق النبي . ﷺ . من الأكاذيب كان قليلًا مما ترتب عليه قلة علم الله- سبحانه- به؟ فلو كان الأمر كذلك فما فائدة القَسَم المدلول عليه بالواو وتوكيده باللام في قوله في الآية: "﴿وَلَقَدْ﴾"؟

ثم مَنِ ادعى أن الفعل المضارع بعد (قد) يفيد التقليل في أفعال غير الله، أما في أفعال الله فيفيد التحقيق والتكثير، كيف يوجه قول الله- تعالى-: "﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾" [الصف: ٥]، هل معناه استبعاد صدور الإيذاء منهم بحجة قلة علمهم برسالته إليهم؟ هذا يناقض معنى الآية؛ لأن معناها الذي قرره جلُّ المفسرين: لا يحق لكم أن تؤذوني بعد أن تحقق لكم العلم بكوني رسولًا من الله إليكم، وبعد أن كثرت وتعددت لديكم الأدلة على هذا(١).

الوجه الثالث: أنَّه قد جاء في كلام العرب الذين يُحْتَج بكلامهم (قد) داخلة على الفعل المضارع مفيدة للتأكيد وللتكثير، ليس في بيت واحد من فصحيح شعرهم ولا بيتين، بل في أبيات كثيرة، تجعل الأمر كالظاهرة المنتشرة، وليس مجرد النادر من القول أو الشاذ من التعبير، خذ- مثلًا- قول الشاعر:

"قَدْ أَعْسِفُ النَّازِحَ الْمَجْهُولَ مَعْسِفُهُ فِي ظِلِّ أَخْضَرَ يَدْعُو هَامَهُ الْبُومُ"(٢).

---

(١) لهذا مزيد بيان عند التعرض لهذه الآية في هذا البحث . إن شاء الله ..

(٢) البيت لذي الرُّمَّة غيلان بن عقبة كما في ديوانه بشرح أبي نصر الباهلي ٤٠١/١، وتهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري ٥٠/٧، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري١٧٥٥/٥، ولسان العرب ٢٤٩/٤.

=

وقول الآخر:

"قَدْ أَتْرُكُ القِرْنَ مُصْفَرًّا أنامِلُه كَأَنَّ أَثْوَابَهُ مُجَّتْ بِفِرْصَادِ"(١).

=

والعسف: السير على غير هدى، والنازح: الصحراء البعيدة والمجهول: الذي لا يهتدى لطريقه، في ظل أخضر، أراد به الليل الأسود، لأن الخضرة إذا اشتدت صارت سوادًا، يدعو هامه البوم، أي: يتجاوب هامه وبومه، والهام جمع هامة، وهي طيور الليل.

والشاعر يمدح نفسه بأنه يقطع القفار الخالية الموحشة، البعيدة عن الناس، التي يجهل الناس المشي فيها بالليل المظلم، وذلك أشد وأصعب على الماشي فيها، وقد بالغ في وصف نفسه بقطع الفلوات وارتكاب الأهوال لأنه لم يكفه أن يجعل الموضع الذي يسير فيه خرقًا لا يهتدي فيه حتى أخبر أنه يسير فيه في ليل أسود لا قمر فيه، ولا يسمع به سوى صوت البوم الذي يتردد مع صوت طيور الليل الأخرى. انظر أدب الكاتب لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ص ٢٧، والاقتضاب في شرح أدب الكتاب لأبي محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي ٢٤/٣، وشرح أدب الكاتب لأبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقى ص ٩٧، وتخليص الشواهد وتلخيص الفوائد لجمال الدين أبي محمد عبدالله بن يوسف بن هشام ص١٣٣، وشرح شواهد المغني للحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ٤٣٨/١، وديوان ذي الرُّمَّة شرح أبي نصر الباهلي ٤٠١/١.

وانظر الاستشهاد بالبيت على أن (قد) مع الفعل المضارع تفيد التحقيق والتكثير، وليس التقليل في أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل لزين الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي الرازي ص ٥١٧، وتخليص الشواهد وتلخيص الفوائد ص ١٣٢، وشرح شواهد المغني ٤٣٨/١.

(١) البيت لعبيد بن الأبرص الهذلي كما في ديوانه ص٤٩، وخزانة الأدب للبغدادي ٢٥٦/١١، ولسان العرب ٣٤٧/٣.

والقِرْن: من هو مثلك في الشجاعة، ومصفرًا أنامله: يقول: طعنته فنزف ومات حتى اصفرت أنامله، ومُجَّت: صُب عليها كما يُصب الماء من الفم، والفِرْصاد: ماء التوت، ويقال: التوت نفسه.

والمعنى: أن الشاعر يفتخر بكثرة قتله لأقرانه من الفرسان الشجعان، حتى يترك الواحد منهم مقتولاً، وقد اصفرت أنامله لما خرجت منه الروح، وقد تلطخت ثيابه بكثير من الدماء، وكأن ثيابه قد صب عليها كثير من ماء التوت الأحمر. انظر شرح أبيات سيبويه لأبي محمد يوسف بن الحسن بن عبدالله السيرافي ٣١٨/٢، وفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) ١٤١/٣، وشرح شواهد المغني ٤٩٤/١، وخزانة الأدب ٢٥٧/١١.

=

وقال آخر:

"قَـالُوا الطِّـرَادُ فَقُلْنَـا تِلْـكَ عَادَتُنَـا أو تَنْزِلُـــونَ فَإِنَّـــا مَعْشَـــرٌ نَـــزُلَ
قد نَطْعَنُ الْعَيْرَ فِـي مَكْنُـونِ فَائِلِـهِ وَقَـدْ يَشِـيطُ عَلَـى أَرْمَاحِنَـا الْبَطَـلُ"(١).

وقال آخر:

"قَدْ أَشْهَدُ الغَارَةَ الشّعْوَاءَ تَحْمِلُنِي جَرْدَاءُ مَعرُوقَةُ اللَّحْيَيْنِ سُرْحُوبُ"(١).

=

وانظر الاستشهاد بالبيت على أن (قد) مع الفعل المضارع تفيد التحقيق والتكثير، وليس التقليل في الكتاب لسيبويه ٢٢٤/٤، والمقتضب ٤٣/١، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٥٢٢/٢، وشرح التسهيل لابن مالك ٢٩/١، ولسان العرب ٣٤٧/٣، والقاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ص ٣٠٩، والجنى الداني في حروف المعاني ص ٢٥٩، ومغني اللبيب ص ٢٣١، وهمع الهوامع ٥٩٦/٢، وخزانة الأدب ٢٥٣/١١، والكشاف ٢٠١/١، وتفسير القرآن العظيم لأبي الحسن علي بن محمد السخاوي ٩١/١، وتفسير القرآن لأبي عبدالله محمد بن محمد بن عرفة التونسي المالكي ١٨٠/١، وإرشاد العقل السليم ١٢٦/٣، وروح المعاني ١٢٧/٤، والتحرير والتنوير ٢٧/٢، وأنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل ص ٥٦١.

(١) البيت للأعشى ميمون بن قيس كما في ديوانه ص ١١٣، وديوان الهذليين ٢٣٥/١، وتهذيب اللغة ٢٧٠/١٥، والصحاح ١١٣٨/٣، ولسان العرب ٣٣٨/٧.

العير: الرجل السيد العظيم الشأن، والمكنون: الدم، والفائل عرق يجري من الجوف إلى الفخذ، ومكنون فائله: دمه الذي قد كَنَّ فيه، ويشيط: يهلك.

فالشاعر يفخر على أعدائه ومن يقاتله ويقاتل قومه بأنهم يحسنون الحرب على كل حال، فلو طلبوا محاربتهم راكبين على الإبل أو الخيل فتلك عادة لهم، وإن نزلوا وجالدوهم بالسيوف جالدوهم . أيضًا .، ثم دلل في البيت الثاني على تلك الشجاعة بأنه يكثر منهم طعن السادة من أعدائهم، وتهلك الأبطال منهم؛ لأنهم يحسنون اختيار أماكن طعنهم في جسدهم، وذلك أن الفارس إذا حذق الطعن قصد الفائل، وهو ذلك العرق الذي يسري من الجوف إلى الفخذ، وبقطعه يهلك الإنسان. انظر شرح المعلقات التسع المنسوب لأبي عمرو الشيباني ص ٣٦، والأمالي لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي٢٤٧/٢، وشرح القصائِد العشر لأبي زكريا يحيى بن علي بن محمد التبريزي ص٣٠٧، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميري اليمني ٣٦٠٦/٦، وتخليص الشواهد وتلخيص الفوائد ص ٣٨٧.

وانظر الاستشهاد بالبيت على أن (قد) مع الفعل المضارع تفيد التحقيق والتكثير، وليس التقليل في تفسير القرآن العظيم للسخاوي ٩١.

وافتخر بالفروسية فقال:

"وَقَدْ أَغْتَدِي والطَّيرُ في وُكنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابِدِ هَيْكلِ"(٢).

=

(١) البيت لامرئ القيس بن حُجْر بن الحارث الكندي كما في ديوانه بشرح عبدالرحمن المصطاوي ص ٨١، والعين ١٥٤/١، وخزانة الأدب ٩٢/٤.

وقوله: قد أشهد، أي: أحضر، والغارة: الخيل المغيرة على الأعداء، والشعواء: المتفرقة، تتفرق الخيل على الأعداء من هنا ومن هنا حتى لا يفوتهم أحد من العدو، وجرداء: فرس قصيرة الشعر، والمعروقة: الفرس المهزولة قليلة اللحم، يقال: عرق فرسه تعريقًا؛ إذا أجراه حتى سال عرقه وضمر وذهب لحمه، واللحيين: مثنى لحي، بفتح اللام وسكون الحاء المهملة: العظم الذي ينبت عليه الأسنان من داخل الفم، وتنبت عليه اللحية من الخارج، ومعروق اللحيين: الفرس الموصوف بقلة اللحم على وجهه، وذلك أكرم له، والسرحوب: الطويلة الظهر السريعة.

والشاعر يفتخر بكثرة حضوره للغارات الكبيرة المضطربة التي تتفرق فيها الخيول حتى تحيط بالأعداء، ويركب في تلك الغارات فرسه المضمرة قليلة اللحم طويلة الجسم. انظر شرح شواهد المغني ٤٩٦/١، وخزانة الأدب ٩٣/٤، وشرح أبيات مغني اللبيب لعبد القادر بن عمر البغدادي ١١١/٤، وشرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية لمحمد بن محمد حسن شُرَّاب ١٤٦/١.

وانظر الاستشهاد بالبيت على أن (قد) مع الفعل المضارع تفيد التحقيق والتكثير، وليس التقليل في مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ص ٢٣١، والجنى الداني في حروف المعاني ص ٢٥٨، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي ٢٥٣/١١، وتاج العروس من جواهر القاموس ٢١/٩.

(٢) البيت لامرئ القيس كما في ديوانه ص٥٣، وجمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ص١٣٥، والصحاح ٥٢٩/٢.

أَغْتَدِي: أخرج غدوة في أول النهار، الوكنات: مواقع الطير، واحدتها وكنة، المنجرد: الفرس الماضي في السير، وقيل: بل هو القليل الشعر، الأوابد: الوحوش، الهيكل: الفرس العظيم الجرم، والجمع الهياكل.

يقول: إن من عاداتي أني أخرج مبكرًا والطير مستقرة على مواقعها التي باتت عليها، على فرس ماضٍ في السير قليل الشعر، يقيد الوحوش بسرعة لحاقه إياها عظيم الجسم والجرم؛ وتحرير المعنى: أنه تمدَّحَ بمعاناة دجى الليل وأهواله، ثم تمدَّحَ بتحمل حقوق العفاة والأضياف والزوار، ثم تمدح بطيّ الفيافي والأودية، ثم أنشأ الآن يتمدح بالفروسية. يقول: وكثيرًا ما

=

وقال الشاعر:

"**وقَدْ أَقُودُ أَمَامَ الحَيِّ سَلْهَبَةً يَهْدِي بها نَسَبٌ فِي الْحَيِّ مَعْلُومُ**"(١).

وقال الشاعر:

"**أَخُوْ ثِقَةٍ لَا يُذْهِبُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالَ نَائِلُهْ**"(٢).

=

باكرت الصيد قبل نهوض الطير من أوكارها على فرس سريع السير قليل الشعر عظيم الجسم، جعل لسرعة إدراكه الصيد كالقيد لها؛ لأنها لا يمكنها الفوت منه كما أن المقيد غير متمكن من الفوت والهرب. انظر شرح المعلقات التسع ص١٦٠، والمعاني الكبير في شرح أبيات المعاني لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ٢٤/١، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري ص٨٢، وديوان امرئ القيس مع شرحه لعبدالرحمن المصطاوي ص٥٤.

وانظر الاستشهاد بالبيت على أن (قد) مع الفعل المضارع تفيد التحقيق والتكثير، وليس التقليل في تفسير القرآن العظيم للسخاوي ٩٢/١.

(١) البيت لعلقمة بن عبدة كما في ديوانه ص ٤٨، والمفضليات للمفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي ص ٤٠٣.

والسلهبة: الطويلة من الخيل. يهدي بها: يُقَدِّمها.

والشاعر يفتخر بأن من عادته الكثيرة المتكررة أنه يقود قومه في الأسفار والمهمات، وهو راكب فرسة طويلة عظيمة الجسم، يقودها نسب لا ينقطع؛ لأنها ذات عرق كريم. انظر المرشد إلى فهم أشعار العرب لعبدالله بن الطيب المجذوب ٢٥٩/٤، وشرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية ١٣٣/٣.

وانظر الاستشهاد بالبيت على أن (قد) مع الفعل المضارع تفيد التحقيق والتكثير، وليس التقليل في المقتضب ٤٣/١.

(٢) البيت لزهير بن أبي سُلْمَى، يمدح حصن بن حذيفة الفزاري كما في ديوانه ص ١٢٤، وعيار الشعر لأبي الحسن محمد بن أحمد طباطبا ص ١٣٩، ونهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري ١٥١/٧، وخزانة الأدب وغاية الأرب لتقي الدين أبي بكر بن علي الحموي الأزراري ١٤٧/١، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ٥٣/٥.

وقوله: أخو ثقة، أي: يوثق بما عنده من الخير لما علم من جوده وكرمه، والنائل: العطاء. يقول: لا يهلك ماله في شرب الخمر؛ لأنه لا يشربها، وإنما يهلكه بالعطاء، فوصفه في هذا البيت بالعفة لقلة إمعانه في اللذات، وأنه لا ينفد ماله فيها، وبالسخاء لإهلاكه ماله في العطاء والبذل، ثم قال:

=

وقال آخر:

"قَدْ يُدْرِكُ المُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ المُسْتَعجِلِ الزَّلَلُ"(١).

وقال آخر:

"لَقَدْ أَقُومُ مَقَاماً لَوْ يَقُومُ بِهِ أَرَى وَأَسْمَعُ ما لَوْ يَسْمَعُ الفِيلُ"(١).

=

"تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَه مُتَهَلِّلًا كأَنَّك مُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهْ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّه غَيْرُ نَفْسِهِ لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللهَ سَائِلُه"

فزاد في وصف السخاء منه بأن جعله يهش له، ولا يلحقه مضض، ولا تَكَرُّه لفعله، ثم قال:

"فَمَنْ مِثْلُ حِصْنٍ فِي الْحُرُوبِ وَمِثْلُه لِإِنْكَارِ ضَيْمٍ أو لخَصْمٍ يُجادِلُهْ"

فأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل، فاستوعب زهير في أبياته هذه المدح بالخصال التي هي فضائل الإنسان على الحقيقة. انظر نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادي ص ٢١، وزهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني ٤٢٢/٢، وشرح أبيات مغني اللبيب ١٢/٨.

وانظر الاستشهاد بالبيت على أن (قد) مع الفعل المضارع تفيد التحقيق والتكثير، وليس التقليل في التخمير شرح المفصل في صنعة الإعراب ١٠٩/١، والمخصص ٢٣٢/٤، والكشاف ١٧/٢، والتحرير والتنوير ١٩٧/٧.

(١) البيت لعمير بن شُيَيْم القطامي، من بني تغلب، كما في ديوانه ص٢٥، وجمهرة أشعار العرب ص ٧٤، والشعر والشعراء٧١٦/٢، وعيار الشعر ص٩٠، والعقد الفريد ٥٢/٣، ومعجم الشعراء لأبي عبيدالله محمد بن عمران المرزباني ص ٢٤٥، ونهاية الأرب في فنون الأدب ٧٤/٣

قال الجريري: "لعمري إن هَذِه الأبيات لمن رصين الشّعْر وبليغه، وَكلمَة الْقطَامِي الَّتِي هَذِه الأبيات مِنْهَا من أَجود شعره". اهـ. الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، لأبي الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريري النهرواني ص ٥٥٧.

قالوا معناه: قد يدرك المتأني كل حاجته، فالشاعر يمدح التأني بأنه يحقق كل ما يريده المرء، ويذم العجلة بأنها سبب في كل زلل وخسران. انظر العقد الفريد ٢٠٢/٢، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ٤٨٢/٦، وتهذيب اللغة ٣١٠/١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤١٨/٤، والنكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، الشهير بالماوردي ١٥٣/٥، والبحر المحيط في التفسير ٢٥٢/٩.

وانظر الاستشهاد بالبيت على أن (قد) مع الفعل المضارع تفيد التحقيق والتكثير، وليس التقليل في تفسير القرآن العظيم للسخاوي ٩٢/١.

وخير ما نختم به تلك الطائفة قول الشاعر:

"**وَقَدْ تُدْرِكُ الإِنْسَانَ رَحْمَةُ رَبِّهِ وَلَوْ كَانَ تَحْتَ الْأَرْضِ سَبْعِينَ وَادِيَا**"(٢).

=

(١) البيت لكعب بن زهير بن أبي سلمى من قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه. انظر ديوان كعب بن وهير ص ٦٦، ونهاية الأرب في فنون الأدب ٤٢٩/١٦، ومغني اللبيب ٢٦٤/١، والسيرة النبوية لعبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ٥٠٣/٢. ومما قاله فيها:

"**لا تأخُذَنِّي بأقْوَالِ الوُشاةِ، وَلم أُذْنِبْ وإن كَثُرَتْ فيّ الأقَاوِيلُ**

لَقَدْ أَقُومُ مَقَاماً لَوْ يَقُومُ بِهِ أَرَى وَأَسْمَعُ ما لَوْ يَسْمَعُ الفِيلُ

لَظَلّ يُرْعَدُ إلاّ أنْ يَكُونَ لَهُ مِنَ النّبيّ بإذنِ اللَّهِ تَنْوِيلُ"

والتنويل: العطاء، والمراد به الأمان، والعفو عنه.

فالشاعر يظهر مقدار ما في قلبه من خوفه من النبي ﷺ؛ إذ كان أهدر دمه، يقول: لا تعاقبني بسبب ما نقله إليك عني الوشاة من أعدائي، فأنا لم أرتكب ما يوجب العقوبة، فهذا هو مقام التوبة والبراءة الذي أقدم عليه، وهو يعلم أنه القتل إن لم تقبل توبته، ثم أظهر رعبه الشديد من تهديد النبي له قائلًا: والله لو كان الفيل مكاني فرأي وسمع ما رأيت وسمعت من هيبتك وتهديدك لانهار الفيل، فكيف بي أنا، وخص الفيل تهويلًا وتعظيمًا لقوَّته وضخامة جسمه، وهذا من أبلغ ما قيل في تصوير المهابة، وهل أدل على الهيبة من أن يرتعد الفيل. انظر شرح شواهد المغني ٦٤٧/٢، وشرح أبيات مغني اللبيب ٥٠/٥، والمرشد إلى فهم أشعار العرب ٥٢٦/١.

وانظر الاستشهاد بالبيت على أن (قد) مع الفعل المضارع تفيد التحقيق والتأكيد، وليس التقليل في عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي ٣٥٥/١، والتحرير والتنوير ١٩٧/٧.

(٢) البيت لورقة بن نوفل، يرثي زيد بن عمرو بن نفيل، كما في الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام لأبي القاسم عبدالرحمن بن أحمد السهيلي ٢٤٦/٢، والسير والمغازي للإمام محمد بن إسحاق بن يسار ص١١٩، وسيرة بن هشام ٢١٤/١. من قصيدة قال فيها:

"رَشَدْتَ وَأَنْعَمْتَ ابْنَ عَمْرٍو وَإِنّمَا تَجَنَّبْتَ تَنّورًا مِنْ النّارِ حَامِيَا

بِدِينِكَ رَبًّا لَيْسَ رَبٌّ كَمِثْلِهِ وَتَرْكِكَ أَوْثَانَ الطّوَاغِي كَمَا هِيَا

وَإِدْرَاكِكَ الدِّينَ الّذِي قَدْ طَلَبْتَهُ وَلَمْ تَكُ عَنْ تَوْحِيدِ رَبِّكَ سَاهِيَا

فَأَصْبَحْتَ فِي دَارٍ كَرِيمٍ مُقَامُهَا تُعَلَّلُ فِيهَا بِالْكَرَامَةِ لَاهِيَا

تُلَاقِي خَلِيلَ اللهِ فِيهَا وَلَمْ تَكُنْ مِنْ النّاسِ جَبّارًا إِلَى النّارِ هَاوَيَا

=

وكل هذه نصوص مأثورة عمن تؤخذ منهم اللغة، جاءت لغرض التمدح والافتخار، وإنما يتمدح الإنسان ويفتخر بما يكثر وجوده ويتأكد ويتحقق عن يقين، ولا يفخر بما يقع منه على سبيل الندرة والقلة، وإنما يفتخر بما يقع منه على سبيل الكثرة(١).

ومن المقطوع به أن تأصيل قواعد اللغة لا يكون بالتشهي والاسترواح والاختيار، إنما يكون بتتبع ما سُمِع وما أُثِر من أساليب العرب في كلامهم، ومنهجهم في تعبيرهم، وعلى هذا المنهج وتلك الأساليب نزل القرآن الكريم، كما جاء في قول الله .تعالى .: "﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾" [يوسف: ٢]، وقوله: "﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾" [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]، وقوله: "﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾" [الشورى: ٧].

وها هي نصوص كثيرة من كلام العرب المحتج بكلامهم يستعملون الفعل المضارع بعد (قد)؛ للدلالة على التكثير والتوكيد والتحقيق، ولم يؤثر نص واحد استعمل فيه قائله الفعل المضارع بعد (قد)؛ للدلالة على التقليل.

=

وَقَدْ تُدْرِكُ الْإِنْسَانَ رَحْمَةُ رَبِّهِ وَلَوْ كَانَ تَحْتَ الْأَرْضِ سَبْعِينَ وَادِيَا".

وانظر الاستشهاد بالبيت على أن (قد) مع الفعل المضارع تفيد التحقيق والتوكيد، وليس التقليل في تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ٢١٢/١و٢١٣، وشرح التسهيل لابن مالك ٢٩/١، والتذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل ١٠٨/١، والبحر المحيط في التفسير ٤٨٨/٤، والدر المصون ٦٠٢/٤، واللباب في علوم الكتاب ١١١/٨.

(١) انظر الجنى الداني ص ٢٥٨، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ٢٥٣/١١ إلى ٢٥٦، وشرح الإمام شمس الدين محمد الفارضي على ألفية ابن مالك ٥٨/١، وأنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل ص ٥١٧، وتفسير القرآن العظيم للسخاوي ٩١/١و٩٢.

ولو ظفر واحد من النحاة على بيت شعر أو جملة مأثورة عن بعض العرب- حتى ولو كان مجهولًا- أنه استعمل أسلوبًا معينًا؛ للدلالة على معنى معين لاتخذ ذلك البيت وتلك الجملة حجة وبرهانًا، فما باله لا يكتفي بكل هذه النصوص؟!

مع العلم بأن ما وصلنا من كلام العرب أقل بكثير مما اندثر، فما ورد عن العربي ولم يأخذ بها النحاة نُظِر في حال العربي وفيما جاء به، فإن كان فصيحًا وممن يحتج بكلامه فإن الأولى أن يحسن الظن به؛ إذ يمكن أن يكون ذلك وقع إليه من لغة قديمة قد طال عهدها واندثر أثرها(١).

ومما يؤثر عن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- أنه قال: "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد وغزو فارس والروم، ولُهِيَت عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب في الأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يثوبوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب، وقد هلك من هلك من العرب بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم كثيره"(٢).

---

(١) انظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ١٩٦/١، وإبراز المعاني من حرز الأماني لأبي القاسم شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة ص٤٦٦، والبحر المحيط ٦٥٨/٤، والدر المصون ١٦٧/٥.

(٢) كل مَنْ ذكر هذا الأثر ذكر أنَّ ابن جني أخرجه بسنده في (الخصائص)، فأطلت البحث عنه في كتاب (الخصائص) لابن جني فلم أجده، ثم أطلت البحث عنه في سائر كتب ابن جني فلم أجده.

وقد ذكر هذا الأثر الحافظ المزي في كنز العمال ٨٥٣/٣، برقم (٨٩٤١)، وعزاه لوكيع.

وذكره أبوعبد الله محمد بن سلَّام بن عبيدالله الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء ٢٤/١، فقال: " قال ابن عون: عن ابن سيرين قال: قال عمر بن الخطاب: كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه.....إلى آخره.

وابن عون هو: عبد الله بن عون بن أَرْطُبَان، ثقة كما في التاريخ الكبير للبخاري ٢٠١/٦، والجرح والتعديل ١٣٠/٥، وتقريب التهذيب ص ٣١٧.

=

ومن ثَمَّ يمكن أن يقال: إنَّ فهم معنى التقليل من (قد) بعد الفعل المضارع فهم في العصور المتأخرة، أما العرب الخلص فكانوا يستعملون الفعل المضارع بعد (قد)؛ للدلالة على تحقيق ذلك الفعل وتأكيده وكثرة وقوعه.

جاء في (الموسوعة القرآنية): "هذه الفائدة من خصائص العربية في اللغة القديمة، أي: أن (قد) تدخل على الفعل المضارع وتفيد التكثير، بعكس الشائع الكثير وهو التقليل، وقد يكون بقي شيء من إفادة التقليل لـ(قد) مع المضارع في اللغة العربية المعاصرة، إلا أنَّ إفادة التكثير لا نجد له مكانًا، وذلك لأن المعربين من الأدباء وغيرهم قد أضاعوا الكثير من خصائص هذه وجهلوا مكانها"[(١)].اهـ.

قال الطاهر بن عاشور– رحمه الله–: "(قد) تحقيق للخبر الفعلي، فهو في تحقيق الجملة الفعلية بمنزلة (إنَّ) في تحقيق الجملة الاسمية، فحرف (قد) مختص بالدخول على الأفعال المتصرفة الخبرية المثبتة المجردة من ناصب وجازم، ومعنى التحقيق ملازم له، والأصح أنه كذلك سواء كان مدخولها ماضيًا أو مضارعًا، ولا يختلف معنى (قد) بالنسبة للفعلين، وقد شاع عند كثير من النحويين أن (قد) إذا دخل على المضارع أفاد تقليل حصول الفعل، وقال بعضهم: إنه مأخوذ من كلام سيبويه، ومن ظاهر كلام (الكشاف)، والتحقيق: أن كلام سيبويه لا يدل إلا على أن (قد) يستعمل في الدلالة على التقليل لكن بالقرينة وليست بدلالة أصلية، وهذا هو الذي استخلصته من كلامهم وهو المعول عليه عندي.

=

وابن سيرين هو: محمد بن سيرين الأنصاري أبو بكر ابن أبي عمرة البصري، ثقة ثبت عابد كبير القدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى، وروايته عن عمر منقطعة، ولكن أثنى العلماء على مراسيله، وقالوا: إنها صحيحة. انظر الجرح والتعديل ٢٨٠/٧، ورجال صحيح البخاري ٦٤٩/٢، وتقريب التهذيب ص ٤٨٣، وانظر جامع التحصيل في أحكام المراسيل للعلائي ص ٨٩ و ص ٢٦٤.

وانظر هذا الأثر في الممتع في صنعة الشعر لعبدالكريم النهشلي القيرواني ص ٢٣، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني ٢٧/١، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ٤٢٣/٤، إبراز المعاني من حرز الأماني ص٤٦٦.

(١) الموسوعة القرآنية خصائص السور ٤١/٣.

ولذلك فلا فرق بين دخول (قد) على فعل المضي ودخوله على الفعل المضارع في إفادة تحقيق الحصول..، فالتحقيق يعتبر في الزمن الماضي إن كان الفعل الذي بعد (قد) فعل مضي، وفي زمن الحال أو الاستقبال إن كان الفعل بعد (قد) فعلًا مضارعًا، مع ما يضم إلى التحقيق من دلالة المقام، مثل تقريب زمن الماضي من الحال في نحو: قد قامت الصلاة. وهو كناية تنشأ عن التعرض لتحقيق فعل ليس من شأنه أن يشك السامع في أنه يقع، ومثل إفادة التكثير مع المضارع تبعًا لما يقتضيه المضارع من الدلالة على التجدد"[1].اهـ.

الوجه الرابع: أنَّه إذا ثبت أن الأصل في (قد) أنها للتحقيق والتأكيد مع الأفعال، كما أنَّ (إنَّ) للتحقيق والتأكيد مع الأسماء، وثبت أن العرب يستعملون الفعل المضارع؛ للدلالة على أن فاعله متصف بذلك الوصف الذي دلَّ عليه الفعل، وأن هذا الوصف مستمر ومتجدد عنده في كل الأحوال والأزمان، وأنَّ العرب يعبرون بالفعل المضارع؛ إذا كان في الحدث نوع خصوصية أو تمييز أو حال تستغرب، أو تهم المخاطب، وينتقلون من صيغة الفعل الماضي إلى صيغة الفعل المضارع؛ تعظيمًا لذلك الحدث الذي دلَّ عليه الفعل المضارع، وتعظيمًا لحال مَنْ صدر منه الفعل، وتعظيمًا لحال مَنْ أجري عليه، وتفخيمًا لشأنه، إذا ثبت هذا؛ فملخصه: أنَّ (قد) مُؤَكِّدَة ومُحَقِّقَة، والفعل المضارع مُؤَكِّد ومُؤَكَّد، فهل إذا دخل مُؤَكِّد على مُؤَكِّد ومُؤَكَّد أفاد الاثنان معا التقليل؟!

خلاصة الأمر: أنَّ (قد) تفيد مع الماضي أحد ثلاثة معان: التحقيق، والتقريب، والتوقع، وتفيد مع المضارع أحد ثلاثة معان: التحقيق، والتوقع، والتكثير.

هذا هو مدلول الفعل المضارع في لغة العرب، وهذه هي معاني (قد) في لغتهم، فكيف كان مدلول الفعل المضارع بعد (قد)، وما مدلولها معه في القرآن الكريم؟

آيات ثمان ندرسها– بعون الله– لنجيب عن هذا السؤال فنقول:

(١) التحرير والتنوير ١٩٦/٧ وما بعدها.

الفصل الثاني

الفعل المضارع بعد (قد) في القرآن الكريم

جاءت (قد) في إحدى وعشرين ومائتي آية من القرآن الكريم[١]، وجاءت (لقد) في اثنتين وثمانين ومائة آية من القرآن الكريم[٢]، جاء بعد كل منهما الفعل بصيغة الماضي، إلا في ثمان آيات، نطوف حول هذه الآيات الثمان؛ لنعرف معنى (قد) فيها، ومدلول الفعل المضارع بعدها:

الآية الأولى

قال الله- تعالى-: "﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ﴾" [البقرة: ١٤٤]

للعلماء في (قد) والفعل المضارع بعدها في هذه الآية اتجاهات ثلاثة:

الاتجاه الأول: . أنَّ (قد) أفادت التقليل، ففي الآية إعلام بأن النبي - ﷺ . لما انطوى ضميره على إرادة التوجه للكعبة اكتفى بعلم الله عن مسألته، فلم يَدْعُ الله . تعالى . تأدبًا معه، فأجاب الله تقلب وجهه على قلة وقوع ذلك منه، حيث قَلَّ من النبي . ﷺ . التقلب، وقل من الله الرؤية[٣]. وأجيب عن هذا الاتجاه من أوجه:

الوجه الأول: قال الألوسي: "من الناس من جعل (قد) هنا للتقليل، زعمًا منه أن وقوع التقلب قليلًا أَدَلُ على كمال أدبه . صلى الله تعالى عليه وسلم .، واعترض بأن من رفع بصره إلى السماء مرة واحدة لا يقال له: قَلَّب بصره إلى

(١) انظر معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم للدكتور: إسماعيل أحمد عمايره، والدكتور: عبدالحميد مصطفى السيد ص ٣٥٨.

(٢) انظر معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم ص ٣٦٣.

(٣) انظر تراث أبي الحسن علي بن أحمد الحَرَلِّي في التفسير، جمعه: محمد بن شريفة ص ٢٦٩و ٢٧٠، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢/٢١٦و٢١٧، وجواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار للشيخ: عبدالقادر بن أحمد بدران ص ٣٧٩.

السماء، وإنما يقال: قَلَّب إذا داوم، فالكثرة تفهم من الآية لا محالة؛ لأن التقلب الذي هو مطاوع التقليب يدل عليها"[1].اهـ.

الوجه الثاني: جاء التصريح في صحيح السنة بكثرة تقلب وجه النبي . ﷺ . في السماء، ودعائه . ﷺ . طلبًا لتحويل القبلة، ففي الحديث: "عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ . رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ . ﷺ . يُصَلِّي نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَيُكْثِرُ النَّظَرَ إِلَى السَّمَاءِ يَنْتَظِرُ أَمْرَ اللَّهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ- سبحانه-: "**﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ﴾**"، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: وَدِدْنَا لَوْ عَلِمْنَا عِلْمَ مَنْ مَاتَ مِنَّا قَبْلَ أَنْ نُصْرَفَ إِلَى الْقِبْلَةِ، وَكَيْفَ بِصَلَاتِنَا نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: "**﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ﴾**" **[البقرة: ١٤٣]**، وَقَالَ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ، وَهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ: "**﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ﴾**" **[البقرة: ١٤٢]**، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: "**﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ....﴾**" **[البقرة: ١٤٢]** إِلَى آخِرِ الْآيَةِ"[2].

---

(١) روح المعاني ٤٠٧/١.

(٢) أخرجه ابن إسحاق، كما في تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٥٣/١، والعجاب لابن حجر ٣٩٦/١، والدر المنثور ٣٤٢/١، وذكره صاحب كتاب الصحيح المسند من أسباب النزول ص٢١، وعزاه لابن إسحاق- أيضًا- وصححه، وذكره صاحب كتاب الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص١٩١، وعزاه لابن إسحاق- أيضًا- وصححه.

والحديث في صحيح البخاري وغيره من نفس طريق ابن إسحاق: "عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ . رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا . قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ . ﷺ . صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ . ﷺ . يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ: "**﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾**" ، فَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ، وَقَالَ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ . وَهُمُ الْيَهُودُ .: "**﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾**" **[البقرة: ١٤٢]**. أخرجه البخاري في صحيحه ٨٨/١، كتاب: الصلاة، باب: التوجه نحو القبلة حيث كان، برقم (٣٩٩)، والترمذي في سننه ١٦٩/٢، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في ابتداء القبلة، برقم (٣٤٠).

و: "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ . رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا . قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَا نَسَخَ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ الْقِبْلَةُ، وَذَلِكَ أَنَّ =

الاتجاه الثاني: أنَّ (قد) في هذه الآية قد صرفت الفعل المضارع إلى معنى الماضي، فتقدير الآية: قد رأينا تقلب وجهك في السماء(١).

قلت: لم يذكر أصحاب هذا الاتجاه الحكمة من هذا، ولماذا جاء الفعل بصيغة المضارع إن كان معناه الماضي كما قرروا ذلك؟

الاتجاه الثالث: أنَّ النبي . ﷺ . لما هاجر إلى المدينة أمره الله- تعالى- أن يصلي تجاه بيت المقدس؛ ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إيَّاه إذا صلى إلى قبلتهم، مع ما يجدون من نعته في التوراة، وكان النبي . ﷺ . يكثر من تقليب وجهه إلى السماء؛ راجيًا من الله- تعالى- أن يحول قبلته من بيت المقدس إلى الكعبة؛ لأنه كان يكره التوجه إلى بيت المقدس(٢)؛ لأن اليهود كانوا يقولون: إن محمدًا

=

رَسُولَ اللَّهِ . ﷺ . لَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْيَهُودُ، أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَسْتَقْبِلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَاسْتَقْبَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ . ﷺ . بِضْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ . ﷺ . يُحِبُّ قِبْلَةَ إِبْرَاهِيمَ، فَكَانَ يَدْعُو اللَّهَ وَيَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: **"﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾"**. أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ٥٢٧/٢، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٣/١، برقم (١٣٥٥)، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٠/٢ ، برقم (٢٢٤٦)، وذكره صاحب كتاب الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل المرتب على أبواب الفقه ٤٥٢/٢، وصححه، وصاحب كتاب الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ٢٢١/١، وصححه، وصاحبا كتاب الاستيعاب في بيان الأسباب ٨١/١، وصححاه.

(١) انظر شرح التسهيل لابن مالك ٢٩/١، وتمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ٢١٣/١، والبحر المحيط في التفسير ٢١/٢، والدر المصون ١٥٩/٢، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر: محمد سيد طنطاوي ٢٩٨/١.

(٢) لا يقال: إنه لا يليق بالنبي - ﷺ . أن يكره قبلة أُمِر أن يصلي إليها، وأن يحب أن يحوله ربه عنها إلى قبلة يهواها بطبعه، ويميل إليها بحسب شهوته، لأنه . ﷺ . علم أن الصلاح في خلاف الطبع والميل؛ لأن المستنكر من الرسول أن يعرض عما أمره الله . تعالى . به، ويشتغل بما يدعوه طبعه إليه، فأما أن يميل قلبه إلى شيء فيتمنى أن يأذن الله له فيه، فذلك مما لا إنكار عليه، ولا استبعاد فيه بوجه من الوجوه. انظر مفاتيح الغيب ٩٤/٤و٩٥، وتفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي رضا ١٢/٢و١٣.

يتبع قبلتنا مع أنه يخالفنا، ولولا نحن لم يدرِ أين القبلة، وكان يحب التوجه إلى الكعبة؛ لأنها كانت قبلة إبراهيم . ﷺ .، وليكون هذا سببًا في استمالة العرب لدخولها في الإسلام، ولأنه . ﷺ . أحب أن يحصل هذا الشرف للمسجد الذي في بلدته ومنشئه لا في مسجد آخر، فنسخ الله قبلة بيت المقدس، وأمر بالتوجه إلى الكعبة، وكان هذا أول نسخ من أحكام شريعة هذه الأمة(١).

وفي جوٍ هذا شأنه كان المناسب واللائق من كل الوجوه أن يحقق الله- تعالى- لنبيه . ﷺ . ما تطلعت نفسه إليه على أكمل وجه وأبلغه، فعبر بـ(قد) التي للتحقيق والتأكيد، وبالفعل المضارع، فقال: "﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾"؛ لإفادة كثرة تقلب وجه النبي . ﷺ . في السماء(٢).

: "يعني: مِن حق اهتمامك بشأن القبلة، مع كثرة تقلب وجهك في السماء، أن تكون رؤيتنا لك أكثر مما وُجد منك وشوهد من حالك؛ لأن أصل أمرك أن تستقبل قبلة آبائك، ولكونه أدعى للعرب إلى الإيمان، ولوجوب مخالفة اليهود"(٣).

وجاء في (المنار): "قوله- تعالى-: "﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾"، أي: إننا نرى تقلب وجهك أيها الرسول وتردده المرة بعد المرة في

(١) انظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ١٨٥/٤، والهداية الى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ٤٩٣/١، والبسيط في التفسير للواحدي ٣٩٠/٣، والكشاف ٢٠٢/١، ومفاتيح الغيب٩٤/٤، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ١١١/١، ومدارك التنزيل ١٣٩/١، وإرشاد العقل السليم ١٧٤/١، وروح المعاني ٤٠٧/١، والمنار ١٢/٢، وتفسير القرآن للشيخ: أحمد مصطفى المراغي ٩/٢، وزهرة التفاسير لأبي زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى ٤٤٦/١.

(٢) انظر شرح التسهيل لابن مالك ١٨٠/٣، والجنى الداني في حروف المعاني ص ٢٥٨، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ٢٥٣/١١، والكشاف ٢٠١/١، وتفسير القرآن العظيم للسخاوي ٩١/١، واللباب في علوم الكتاب ٢٩/٣، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ١٧٧/١، والبرهان في علوم القرآن ٣٠٨/٤، والإتقان ٢٥١/٢.

(٣) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) ٦٦٣/١.

السماءِ مصدرِ الوحي وقبلةِ الدعاء؛ انتظارًا لما ترجوه من نزول الأمر بتحويل القبلة"[١].اهـ.

وقال وهبة الزحيلي في تفسير الآية: "كثيرًا ما نرى تردد نظرك في جهة السماء، حينًا بعد حين، متشوقًا للوحي، متلهفًا لتحويل القبلة إلى الكعبة"[٢].اهـ.

فالحرف (قد) أفاد تحقيق رؤية الله لتقلب وجه رسوله ﷺ في السماء، فأكد الله لنبيه وسائر خلقه أن علمه محيط بشأن القبلة وما يتعلق بها من أحداث؛ لدفع الاستبطاء عنه، وأن يطمئنه؛ لأن النبي ﷺ كان حريصًا على حصوله، ويلزم ذلك الوعد بحصوله[٣].

قال الطاهر بن عاشور: "جيء بالمضارع مع (قد) للدلالة على التجدد، والمقصود تجدد لازمه؛ ليكون تأكيدًا لذلك اللازم وهو الوعد، فمن أجل ذلك غلب على (قد) الداخلة على المضارع أن تكون للتكثير، مثل: (ربما يفعل)" [٤].اهـ.

والتعبير بالفعل المضارع هنا هو الأنسب والأليق من الفعل الماضي؛ لأن النبي ﷺ كان يكرر تقلب وجهه في السماء؛ فأتى بالفعل المضارع؛ للدلالة على استمرار رؤية الله– تعالى– له كما استمر تقلب وجه النبي ﷺ في السماء؛ ترقبًا لنزول جبريل– عليه السلام– بتحويل القبلة إلى الكعبة.

ثم إنَّ الفعل المضارع يضفي على الحدث الحركة والحيوية، ويجعله كأنه معاصر للسامع، خاصة في الأمور المهمة التي تحتاج إلى جعلها صورة معاصرة؛ لأن الإنسان يتفاعل مع الصور الحية معه، القريبة منه، وهي ليست كالأحداث الماضية البعيدة عنه، فقد نسمع أحداثًا ماضية ولا نتفاعل معها، لكننا

---

(١) المنار ١٣/٢.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور: وهبة مصطفى الزحيلي ٢١/٢.

(٣) انظر التيسير في التفسير لنجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي ٥٠٧/٢، وتفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ص ٣٠، والعذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير للشيخ: محمد الأمين الشنقيطي ١٧٥/١.

(٤) التحرير والتنوير ٢٧/٢.

بالتأكيد نتفاعل مع صورة رؤية الله لنبيه حين تقلب وجهه في السماء إذا جاء التعبير عن تلك الصورة بفعل يدل على تصوير تلك الصورة وكأنها تحدث الآن.

وتعتمد تلك الصورة على الفعل المضارع: "﴿نَرَىٰ﴾"؛ لإحياء المشهد وجعله حاضرًا شاخصًا أمام السامع، وهو في صيغة الجمع يوحي بالتعظيم لله- سبحانه وتعالى-؛ لأنه هو الذي يرى، كما أن الصورة تعتمد على المصدر: "﴿تَقَلُّبَ﴾"، ولا تعتمد على الفعل للإيحاء باستمرار الحدث، وكأن الرسول . ﷺ . كان دائم التضرع والدعاء، لكي يلبي الله رغبته في التوجه إلى الكعبة، قبلة إبراهيم- عليه السلام-، ولكن الصورة لا تصرّح بذلك، ولا تذكر بماذا كان يدعو حتى أجيب طلبه(١).

ثم إنَّ التأخر في تحويل القبلة، وما ترتب عليه من كثرة تقلب وجه النبي . ﷺ . في السماء المستفاد من (قد) والفعل المضارع بعدها من أدل الأدلة على صدق نبوة النبي . ﷺ ..

" لقد كان النبي . ﷺ . يتحرق شوقًا إلى تحويل القبلة إلى الكعبة، وظل يقلب وجهه في السماء ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، لعل الوحي ينزل عليه بتحويل القبلة إلى البيت الحرام، ولكن ربَّ القرآن لم ينزل في هذا التحويل قرآنا- على الرغم من تلهف رسوله الكريم إليه- إلا بعد قرابة عام ونصف العام،.. ولو كان الوحي من تأليف النبي . ﷺ . لما تأخر كل هذه المدة لشيء يحبه ويشتهيه ويتشوف إليه ويتحرق شوقًا له، ولكنه وحي الله، ولا ينزل إلا بأمر الله وإذنه"(٢).

الآية الثانية

قال الله- تعالى-: "﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾" [الأنعام: ٣٣]

(١) انظر وظيفة الصورة الفنية في القرآن لعبدالسلام أحمد الراغب ص ٢٥٦.

(٢) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، تأليف: عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري ص ١٩٩.

للعلماء في هذه الآية اتجاهات ثلاثة:

الاتجاه الأول: . أنَّ (قد) لما دخلت على الفعل المضارع أفادت التقليل، وأنَّ التقليل ليس في علم الله- تعالى- ابتداء، بل في متعلقه، وهو حزن النبي . ﷺ . بسبب ما يقوله قومه له من التكذيب برسالته؛ ليكون في هذا تصبير للنبي . ﷺ .، والمعنى: ينبغي عليك- وأنت أعظم أولي العزم من الأنبياء- أن يقلَّ شكواك من أذي قومك لك، وألا تُعْلِم اللهَ من إظهارك الشكوى إلا قليلاً[١].

وقيل: معناه: إثبات قلة حزن النبي . ﷺ . على إيمان قومه؛ لانشغاله بالحزن على نفسه، ومن ثم قل علم الله . تعالى . بهذا الحزن، فقال الله . تعالى .: "﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾"، أي: "أضرب عن الاشتغال بحزن نفسك، إلى الاشتغال بحزن ما هو أهم، وهو استعظام جحود آيات الله، والاستهانة بها.....، كأنه قيل له: اشتغلت بخاصة نفسك، وذهلت عما هو أهم من ذلك، وهو ما تستعظمه من جحود آيات الله، والاستهانة بكتابه، ومن عادتك أن تؤثر حق الله على حق نفسك"[٢].

وقيل: الغرض ههنا التكثير والتحقيق للعلم بما ذكره، وإنما أورده على جهة الاستهانة بهم والتهكم بحالهم؛ حيث أسروا الخداع والمكر؛ ظنًا منهم أن الله- تعالى- غير مطلع على هذه الخفايا ولا محيط بتلك السرائر، فأورده على جهة التقليل، مع أن المقصود به التحقيق والتكثير؛ انتقاصًا من شأنهم[٣].

قلت: هذه تأويلات في غاية البعد، والذي حمل مَنْ قالها على ذلك هو استشعارهم بأنَّ (قد) لما دخلت على الفعل المضارع "﴿نَعْلَمُ﴾" أفادت التقليل، ومن المستحيل أن يقلَّ علم الله- تعالى- بحزن نبيه . ﷺ .، فلم يجدوا بدًا من هذه

---

(١) انظر الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمذاني ٥٧٤/٢، والتيسير في التفسير لأبي حفص النسفي ٥٤/٦، وفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) ٦٩/٦، والدر المصون ٦٠٢/٤.

(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) ٧١/٦.

(٣) انظر الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٩١/٣، وفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) ٦٩/٦.

التأويلات المتكلفة، وحمل الآية على تلك المعاني التي لا حاجة إليها، ولا دليل عليها[1]؛ فقد أثبتنا في الفصل الأول أنَّ (قد) إذا دخلت على الفعل المضارع لا تفيد تقليلًا، بل تفيد التكثير والتحقيق لمعنى هذا الفعل، وأن هذا الفعل المضارع أفاد معاني في سياقه لا يمكن أن تتحقق بالفعل الماضي.

ثم إن قولهم: إنَّ التقليل ليس في علم الله، ولكن فيما تعلق به، وهو حزن النبي ﷺ .؛ حيث اشتغل بحزن نفسه عن الاشتغال بالحزن على ما هو أهم، وهو استعظام جحود آيات الله، والاستهانة بها، قول قد بلغ من البعد غايته؛ لأن الله – تعالى– صرح في هذه الآية الكريمة بأنه يعلم أن رسوله ﷺ . يحزنه ما يقوله الكفار من تكذيبه ﷺ .، وقد نهاه الله– عز وجل– عن الإفراط في هذا الحزن في مواضع أُخَر من القرآن الكريم، كقوله: "﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾" [فاطر: ٨]، وقوله: : "﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾" [الكهف: ٦]، وقوله: "﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾" [الشعراء: ٣]، أي: فلعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها على أثر توليهم وإعراضهم عنك وعما جئت به، تمردًا منهم على ربهم، وقوله: : "﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ﴾" في الآيتين يراد به النهي عن ذلك، أي: لا تهلك نفسك حزنًا عليهم[2].

و: "عَنْ عَائِشَةَ– رَضِيَ اللهُ عَنْهَ– أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ . ﷺ .: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ[3]، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ

(١) انظر شرح التسهيل لابن مالك ١٨١/٣.

(٢) انظر جامع البيان ٥٩٧/١٧، والجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي ٣٥٣/١٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٣٧/٥، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر: محمد سيد طنطاوي ٤٧٠/٨و ٤٧١.

(٣) جاءت تفاصيل هذه القصة في تاريخ الرسل والملوك للطبري ٣٤٥/٢، والسيرة النبوية لابن هشام ٣٤٥/٢، : "أَنَّ النَّبِي - ﷺ . لَمَّا انْتَهَى إِلَى الطَّائِفِ عَمَدَ إِلَى نَفَرٍ مِنْ ثَقِيفٍ، هُمْ يَوْمَئِذٍ سَادَةُ ثَقِيفٍ وَأَشْرَافُهُمْ، وَهُمْ إِخْوَةٌ ثَلَاثَةٌ: عَبْدُ يَالِيلَ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ، ومسعود بن عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ، وَحَبِيبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَكَلَّمَهُمْ بِمَا =

الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ. فَقَالَ النَّبِيُّ . ﷺ .: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"(١).

=

جَاءَ لَهُمْ مِنْ نُصْرَتِهِ عَلَى الإِسْلَامِ، وَالْقِيَامِ مَعَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنْ قَوْمِهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: هُوَ يَمْرُطُ ثِيَابَ الْكَعْبَةِ إِنْ كَانَ اللَّهُ أَرْسَلَكَ. وَقَالَ الآخَرُ: مَا وَجَدَ الله أَحَدًا يُرْسِلُهُ غَيْرَكَ؟! وَقَالَ الثَّالِثُ: وَاللَّهِ لا أُكَلِّمُكَ كَلِمَةً أَبَدًا، لَئِنْ كُنْتَ رَسُولًا مِنَ اللَّهِ كَمَا تَقُولُ، لأَنْتَ أَعْظَمُ خَطَرًا مِنْ أَنْ أَرُدَّ عَلَيْكَ الْكَلَامَ، وَلَئِنْ كُنْتَ تَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أُكَلِّمَكَ. فقام رسول الله . ﷺ ـ مِنْ عِنْدِهِمْ، وَقَدْ يَئِسَ مِنْ خَيْرِ ثَقِيفٍ، وقال لهم: إذ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَاكْتُمُوا عَلَيَّ، وَكَرِهَ رَسُولُ الله . ﷺ . أَنْ يُبَلِّغَوا قَوْمَهُ عَنْهُ، فَلَمْ يَفْعَلُوا وَأغروا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ، يَسُبُّونَهُ وَيَصِيحُونَ بِهِ، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ وَأَلْجَئُوهُ إِلَى حَائِطٍ لِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَهُمَا فِيهِ، وَرَجَعَ عَنْهُ مِنْ سُفَهَاءِ ثَقِيفٍ مَنْ كَانَ يَتْبَعُهُ، فَعَمَدَ إِلَى ظِلِّ شَجَرَةٍ مِنْ عِنَبٍ، فَجَلَسَ فِيهِ، وَابْنَا رَبِيعَةَ يَنْظُرَانِ إِلَيْهِ، وَيُرِيَانِ مَا لَقِيَ مِنْ سُفَهَاءِ ثقيف، فَلَمَّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ .، قَالَ: اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟! إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي، أَوْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟! إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتِ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، مِنْ أَنْ يَنْزِلَ بِي غَضَبُكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطِكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ". وأخرج القصة مختصرة بسند متصل الطبراني في المعجم الكبير ١٣٩/١٤، برقم (١٤٧٦٤)، وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٥/٦، برقم (٩٨٥١)، وقال: "رواه الطبراني، وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات"اهـ.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١١٥/٤، كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم: آمين، والملائكة في السماء، برقم (٣٢٣١)، ومسلم في صحيحه ١٤٢٠/٣، كتاب: الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي . ﷺ . من أذى المشركين والمنافقين، برقم (١٧٩٥).

ويوم العقبة: هو اليوم الذي لقي فيه ابن عبد ياليل بن عبد كلال في آخرين فكذبوه، وسبُّوه، واستهزءُوا به، فرجع عنهم، فلقيه سفهاء قريش، فرموه بالحجارة حتى أدموا رجليه، وآذوه أذًى كثيرًا، وقوله: (لم أستفق) أي: لم أفق مما كان غشيني من الهم، إلا بقرن الثعالب أي: لم

=

الاتجاه الثاني: أنَّ المضارع في هذه الآية بمعنى الماضي، وتقدير الآية: قد علمنا حزنك بسبب تكذيب قومك لك(١).

قلت: أصحاب هذا الاتجاه- أيضًا- كأنهم استشعروا التقليل في علم الله -تعالى-؛ لوقوع الفعل المضارع بعد (قد)، فأولوا المضارع بالماضي، ولكنهم لم يبينوا لنا السبب الذي من أجله عُدِل عن التعبير بالماضي إلى التعبير بالمضارع.

الاتجاه الثالث: أنَّ الآية استئناف القصد منه تسلية النبي . ﷺ . عن الحزن الذي يتكرر منه ويكثر بسبب ما يتكرر ويكثر من أقوال منكرة تصدر من الكفرة، تلك الأقوال التي تدل دلالة واضحة على الإصرار على التكذيب، والمبالغة فيه، فبينت الآية أن النبي . ﷺ . بمكانة عالية عند الله- عز وجل-، وأن ما يفعلونه في حق النبي . ﷺ . هو راجع- في الحقيقة- إلى تكذيب الله- تعالى-؛ لأن مَنْ كَذَّب المُرْسَل فقد كَذَّب المُرْسِل في الحقيقة، ومن ثَمَّ أخبر الله بعلمه الدائم المستمر بموقفهم من النبي . ﷺ .، وفي هذا وعد له بتأييده عليهم، ووعيد لهم بأنه ينتقم منهم أشد انتقام لا محالة(٢).

فقول الله- تعالى-: "﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾"، معناه: قد أحطنا علمًا بتكذيبهم لك، وأحطنا علمًا بحزنك عليهم، وتأسفك من كفرهم.

وقوله: "﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾"، معناه: إن تكذيبك أمر راجع إلى الله؛ لأنك رسوله المُصَدَّق بالمعجزات، فهم

=

يشعر بطريقه إلا وهو في هذا الموضع، وهو قريب من قرن المنازل، الذي هو ميقات أهل نَجْد، وهو على مسيرة يوم من مكة، و(الأخشبان): جبلا مكة: قُعَيْقِعَان وأبو قبيس، سميا بذلك لعظمهما وخشونتهما، و(أُطْبِق)، أي: أجعلهما عليهم كالطبق. انظر المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ٦٥٤/٣، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٣١٥/٦.

(١) انظر اللباب في علل البناء والإعراب ٤٩/١، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد٥٧٤/٢، والبحر المحيط ٤٨٨/٤، والدر المصون ٦٠٣/٤.

(٢) انظر إرشاد العقل السليم ١٢٦/٣، وفتح القدير للشوكاني ١٢٧/٢، وروح المعاني ١٢٧/٤، ومحاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي ٣٤٥/٤.

لا يكذبونك في الحقيقة، وإنما يكذبون الله بجحود آياته، مثل ما يقوله السيد لغلامه الذي أهانه بعض الناس: إنهم لم يهينوك أنت، لكنهم أهانوني، فأنا أولى بالانتقام منهم، فأنا أرى وأسمع كل ما يصدر منهم(١).

من ثم تكون (قد) مع الفعل المضارع في مثل هذا السياق ومثل هذا الغرض الذي جاءت له دالة على التحقيق وزيادة الفعل وكثرته، أي: نؤكد تحقق حصول علمنا بكل ما يحزنك حينًا بعد حين مما يقول الكافرون(٢).

وذلك أنَّ المشركين كان منهم قوم يكذبون رسولَ الله ﷺ. وينكرون ما خصه الله به من النبوة، فكان بعضهم يقول: هو مجنون، وبعضهم يقول: هو شاعر، وبعضهم يقول: هو كاهن، وكلهم ينفون أن يكون الذي أتَاهم به من وحي السماء، ومن تنزيل رب العالمين.

ولكن كثيرًا منهم قد علم صدقه ﷺ، وهو مع ذلك يجحد ويعاند حسدًا له وبغيًا، وهذا ما صرح به قوله- تعالى-: "﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾".

يريد: أنهم كانوا لا ينسبونك إلى الكذب ولا يعرفونك به، أي: أنت عندهم صادق؛ لأنه ﷺ كان يُسمَّى فيهم الأمين قبل الرسالة، فلما جئتهم بآيات الله، جحدوها، وهم يعلمون أنك صادق، والجحد يكون ممن علم الشيء فأنكره، بقول الله- عز وجل-: "﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾" [النمل: ١٤]، فهم في العلن يكذبونك بألسنتهم، ولكنهم في السر لا يكذبونك، بل يعلمون في قلوبهم أنك صادق، وقد جربوا منك الصدق فيما مضى(٣).

---

(١) انظر الكشاف ١٨/٢، ومدارك التنزيل للنسفي ٥٠٠/١، والبحر المحيط ٤٨٩/٤، والدر المصون ٦٠٤/٤، واللباب في علوم الكتاب ١١٣/٨.

(٢) انظر شرح التسهيل لابن مالك٢٩/١، و ١٨٠/٣، والجنى الداني في حروف المعاني ص ٢٥٩، والكشاف ١٧/٢، وتفسير القرآن العظيم للسخاوي ٩١/١و٩٢، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٥٩/٢، وفتح القدير للشوكاني ١٢٧/٢، وروح المعاني ١٢٧/٤.

(٣) انظر تفسير القرآن لمقاتل بن سليمان ٥٥٨/١، وجامع البيان للطبري ٣٣٠/١١و٣٣١، وبحر العلوم للسمرقندي ٤٤٤/١، والمحرر الوجيز ٢٨٥/٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٥٠/٣، وتأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ص ١٩٥.

"عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ– رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ، قَالَ لِلنَّبِيِّ . ﷺ .: إِنَّا لَا نُكَذِّبُكَ، وَلَكِنْ نُكَذِّبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: "﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾"[1].

قال ابن العربي: "هذه سخافة من أبي جهل تدل على تحقق اسمه فيه، ومَنْ كَذَّب قول المُخْبِر فقد كَذَّب المُخْبَر عنه، فإن كان خفي ذلك عليه فلقد أحاط به الخذلان، وإن كان ذلك استهزاءً فقد كفى الله رسوله المستهزئين، وما يستهزئون إلا بأنفسهم وما يشعرون،.....والصحيح في المعنى: أن محمدًا بن عبداللَّه بن عبدالمطلب كان صدوقًا أمينًا عفيفًا شريفًا حتى حَدَّث عن الله، ففاضت عقولهم من الحسد غيظًا، وفاضت نفوسهم من الحسد فيضًا، ولا يحزنك ما يقولون؛ فإنهم لا يكذبونك، أي: لا يجدونك كذابًا أبدًا..، وهم لا يَرُدُّون ما جئت به عن حقيقة في نفوسهم، فقد علموا أنَّ الذي جئت به حق، ولكنهم يظهرون الرد نفاسة[2]، ويكون تقدير الكلام: فإنهم لا يكذبونك بحقيقة يجدونها في أنفسهم من تكذيبك، ولكن الظالمين يجحدون بآيات الله وقد استيقنوها ظلمًا وعلوًا[3].اهـ.

ومن ثَمَّ فكل هذه المعاني، وكل تلك القرائن التي أحاطت بالآية تقضي بأن الفعل المضارع فيها بعد (قد) قد تبوأ من تحقيق المعنى أعلاه، ومن حسن النظم

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٢٦١/٥، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الأنعام، برقم (٣٠٦٤)، والحاكم في المستدرك ٣٤٥/٢، برقم (٣٢٣٠)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه " اهـ، والطبري في جامع البيان ٣٣٤/١١، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٨٢/٤، برقم (٧٢٣٤)، وذكره محمد ناصر الدين في صحيح السيرة النبوية من "البداية والنهاية" لابن كثير ص٢٠٣، وذكره صاحب كتاب الصحيح المسند من أقوال الصحابة والتابعين ٣٣٤/١، وصححه.

(٢) يقال: نَفِسْتُ عَلَى فُلَانٍ، أي: أضمرت في نفسي منه غيظًا وحقدًا؛ لأنه ليس أهلًا لما هو فيه من الخير. انظر جمهرة اللغة ٨٤٩/٢، وكتاب الأفعال لأبي بكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز ابن القوطية ص١١٤.

(٣) عارضة الأحوذي بشرح سنن الترمذي للقاضي محمد بن عبدالله بن العربي المالكي ١٨٦/١١و ١٨٧، وانظر المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة ٥٢٤/١.

أقصاه؛ حيث أفاد استمرار علم الله بحزن النبي . ﷺ . بسبب استمرار تكذيب قومه، مع إثبات الكثرة الكاثرة في هذا التكذيب، وفي هذا الحزن، وفي هذا العلم الذي يعم الماضي والحال والاستقبال؛ إذ المراد اتصاف الله- تعالى- بالعلم التام واستمراره، ومن ثَمَّ دخلت (إنَّ) في أول الجملة؛ للمبالغة في تأكيد هذا المعنى(١).

ولهذا قرر جمعٌ من العلماء أنَّ (قد) في هذه الآية تفيد التوقع(٢).

" كأن النبي . ﷺ . لما سمع تكذيب قومه إياه توقع ما يخاطبه الله- تعالى- في ذلك، فقال: **"﴿قَدْ نَعْلَمُ﴾"** ذلك؛ تسلية وتعزية عما يواجه به قومه"(٣).اهـ.

وتفيد- أيضًا- التقريب، ويكون معناه هاهنا: تقريب حال الحزن من حال الخطاب، فبمجرد وقوع الحزن من النبي . ﷺ . بادر الله- سبحانه وتعالى- بمخاطبته بهذه الآية؛ ليطمئن قلبه، وتهدأ نفسه(٤).

مع ملاحظة أن كل هذه الدلالات ليست لأنَّ (قد) مع الفعل المضارع تفيد التحقيق والتكثير مع أفعال الله فقط كما ادعاه بعضهم، ولكن إفادتهما لهذه المعاني إنما جاء على وفق كلام العرب الخُلَّص الذين نزل القرآن بلسانهم وبأساليبهم، وعلى مذهبهم في التعبير، كما أثبتنا هذا في الفصل الأول من هذا البحث.

الآية الثالثة

قال الله- تعالى-: **"﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾" [الحجر: ٩٧].**

لا يمكن أن ينفك فهم هذه الآية عن فهم السياق الذي وردت فيه.

فقبلها أمر الله- عز وجل- رسوله . ﷺ . بأن يمضي في طريقه، وأن يجهر بدعوته، وأن يعرض عن المشركين، فقد كفاه شرهم فقال: **"﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾" [الحجر: ٩٤، ٩٥]**، أي: فاجهر- أيها النبي الكريم- بالدعوة إلى دينك، وبلغ علانية ما أمرك الله بتبليغه،

(١) انظر المحرر الوجيز ٢٨٥/٢، والبحر المحيط في التفسير ٤٨٧/٤، والدر المصون ٦٠٣/٤، ونظم الدرر ٩٤/٧، والجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ٤٥٨/٢، وروح المعاني ١٢٧/٤، والتحرير والتنوير ١٩٧/٧و١٩٨.

(٢) انظر التيسير في التفسير لأبي حفص النسفي ٥٤/٦، والمحرر الوجيز ٢٨٥/٢.

(٣) البسيط في التفسير للواحدي ٩٥/٨.

(٤) انظر التيسير في التفسير ٥٤/٦، والبحر المحيط ٤٨٨/٤.

ولا تهتم بسفاهات المشركين وسوء أدبهم، فلا تقاتلهم الآن، بل نحن نتولى الدفاع عنك(١).

فقول الله- تعالى-: "﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾": "تطمين للنبي ﷺ، وتثبيت له على طريق دعوته، وعون من الله له، على أداء مهمته الثقيلة، وأن الله- سبحانه وتعالى- هو الذي سيتولى حساب هؤلاء الذين يقفون في طريقه، يستهزءون به، ويسخرون منه"(٢).

"عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- فِي قَوْلِ اللهِ- عز وجل-: "﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾"، قَالَ: الْمُسْتَهْزِئُونَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ الزُّهْرِيُّ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ، وَأَبُو زَمْعَةَ، مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَالْحَارِثُ بْنُ قَيْسٍ السَّهْمِيُّ، وَالْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ، شَكَاهُمْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. إِلَى جِبْرِيلَ، وَأَرَاهُ الْوَلِيدَ أَبَا عَمْرِو بْنَ الْمُغِيرَةِ، فَأَوْمَأَ جِبْرِيلُ إِلَى أَبْجَلِهِ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟، قَالَ: كُفِيتُهُ، ثُمَّ أَرَاهُ الْأَسْوَدَ بْنَ الْمُطَّلِبِ، فَأَوْمَأَ جِبْرِيلُ إِلَى عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟، قَالَ: كُفِيتُهُ، ثُمَّ أَرَاهُ الْأَسْوَدَ بْنَ عَبْدِ يَغُوثَ الزُّهْرِيَّ، فَأَوْمَأَ إِلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟، قَالَ كُفِيتُهُ، وَمَرَّ بِهِ الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ، فَأَوْمَأَ إِلَى أَخْمَصِهِ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟، قَالَ: كُفِيتُهُ، فَأَمَّا الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ فَمَرَّ بِرَجُلٍ مِنْ خُزَاعَةَ وَهُوَ يَرْيِشُ نَبْلًا لَهُ فَأَصَابَ أَبْجَلَهُ فَقَطَعَهَا، وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ فَعَمِيَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: عَمِيَ هَكَذَا وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: نَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا بَنِيَّ، أَلَا تَدْفَعُونَ عَنِّي؟ قَدْ قُتِلْتُ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: مَا نَرَى شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى عَمِيَتْ عَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ الزُّهْرِيُّ فَخَرَجَ فِي رَأْسِهِ قُرُوحٌ فَمَاتَ مِنْهَا، وَأَمَّا الْحَارِثُ بْنُ قَيْسٍ فَأَخَذَهُ الْمَاءُ الْأَصْفَرُ فِي بَطْنِهِ حَتَّى خَرَجَ خُرْؤُهُ مِنْ فِيهِ فَمَاتَ مِنْهَا، وَأَمَّا الْعَاصِ

(١) انظر جامع البيان ١٥٣/١٧، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن للحسين بن مسعود بن محمد البغوي ٣٩٥/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٥١/٤، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر: محمد سيد طنطاوي ٨٣/٨.

(٢) التفسير القرآني للقرآن لعبدالكريم يونس الخطيب ٢٦٤/٧.

بْنُ وَائِلٍ فَرَكِبَ إِلَى الطَّائِفِ عَلَى حِمَارٍ فَرَبَضَ بِهِ عَلَى شِبْرِقَةٍ فَدَخَلَتْ فِي أَخْمَصِ قَدَمِهِ شَوْكَةٌ فَقَتَلَتْهُ"(١).

وعلى أي حال في تعيين هؤلاء المستهزئين، فالقدر المعلوم أنهم طائفة من المشركين، لهم رئاسة وقوة؛ لأن أمثالهم هم الذين يجرءُون على إظهار مثل هذه السفاهة مع النبي . ﷺ . مع علو منصبه وعظم قدره، ودل القرآن الكريم ودلت السنة الصحيحة على أن الله- عز وجل- أبادهم وأفناهم وأزال كيدهم(٢).

ثم وصف الله- تعالى- هؤلاء المستهزئين بالشرك؛ للدلالة على أنه لم يكن ذنبهم مجرد الاستهزاء، بل لهم ذنب آخر، وهو الشرك بالله- عز وجل- فقال: "﴿ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾" [الحجر: ٩٦] ، وفى وصفهم بهذا الوصف تسلية للنبي . ﷺ . وتهوين للخطب عليه؛ إذ إنهم لم يقتصروا على الاستهزاء بمقام النبوة، بل اجترءُوا على العظيمة التي هي الإشراك بالله- عز وجل-، المدبر لأمورهم والمحسن إليهم، فجريمتهم جريمتان: استهزاء بالنبي، وكفر

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ١٧٣/٥، برقم (٤٩٨٦)، والبيهقي في السنن الكبرى ١٤/٩، كتاب: السِّيَر، باب: مبتدأ الفرض على النبي . ﷺ . ثم على الناس، وما لقي النبي . ﷺ . من أذى قومه في تبليغ الرسالة، برقم (١٧٧٣١).

وله شاهد يقويه من حديث أنس بن مالك، أخرجه البزار في مسنده البحر الزخار ٥١٩/١٣، برقم (٧٣٦٨)، والطبراني في المعجم الأوسط ١٥٠/٧، برقم (٧١٢٧)، وذكره الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ٩٧/١٠، وصححه، وذكره صاحب كتاب الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل المرتب على أبواب الفقه ٦٩/٨، وحسنه، وذكره مؤلفو كتاب صحيح الكتب التسعة وزوائده ص ١٢٠١، وصححوه، وذكره الألوسي في روح المعاني ٣٢٨/٧، وحسنه.

والأَبْجَل: عرق في الذراع، وهو المِكْحَل، انظر العين ١٣٦/٦، والأَخْمَص: الموضع في أسفل القدم الذي لا يلتصق بالأرض عند وطئها. انظر لسان العرب ٣٠/٧، ويَرِيش النَّبْلَ: يبريها حتى تكون مدببة الطرف لتنفذ في جسد من رُمِي بها. انظر جمهرة اللغة ٧٣٦/٢، ورَبَضَ: مَشَى. انظر غريب الحديث لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ٢٧٨/١، والشِبْرِقَة: الشيء القليل من النبات والشجر. انظر تهذيب اللغة ٢٨٤/٩.

(٢) انظر مفاتيح الغيب١٦٥/١٩، وروح المعاني ٣٢٨/٧، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر: محمد سيد طنطاوي ٨٤/٨.

باللهِ- سبحانه-، وواحدة منهما تكفي في إهلاك من اقترفها، فكيف بمَنِ اقترف الجريمتين معًا[١].

وصيغة المضارع في قول الله- تعالى-: "﴿يَجْعَلُونَ﴾" للإشارة إلى أنهم مستمرون على ذلك الشرك بالله، ومجددون له حينًا بعد حين[٢].

ثم توعدهم على تكرر الجريمتين منهم فقال: "﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾" في الآخرة ما يترتب على الشرك بالله والاستهزاء بالنبي ﷺ من عذاب شديد، بعد أن أهلكناهم في الدنيا[٣].

ولما كان حرف التنفيس (السين) في قوله تعالى: "﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾" مؤذنًا بإمهالهم قليلًا طمأن الله رسوله ﷺ بأنه مطلع أكمل اطلاع على ضيق صدره بسبب شركهم بالله، واستهزائهم برسوله، فذكر تسلية أخرى لنبيه ﷺ بعد التسلية الأولى، بكفايته شرهم ودفعه لمكرهم، فأمره بالثبات على الصدع بالدعوة، والتفويض إلى ربه؛ لأن في إمهالهم حكمة بالغة، ولذلك افتتحت الجملة بلام القسم وحرف التحقيق (قد)، فقال: "﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾"[٤].

والنبي ﷺ ليس ممن يداخله الشك في خبر الله- تعالى-، ولكن عوامل التوكيد والتحقيق في هذه الجملة كناية عن الاهتمام بالمُخْبَر- وهو النبي ﷺ -، وأنه بمحل العناية من الله- سبحانه وتعالى-، فالجملة معطوفة على جملة: "﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾"؛ تؤكد معناها وتبرهن عليها، ففيها تأنيس وتسلية لرسول الله ﷺ عن أقوال المشركين حين قالوا في حقه: إنه ساحر، ومجنون، وكاهن، وعما قالوه في حق الله تعالى من الشريك والصاحبة والولد، وعما قالوه في حق

(١) انظر روح المعاني ٣٢٨/٧، وفتح القدير ١٧٣/٣، وتفسير القرآن للمراغي ٤٨/١٤، والتفسير القرآني للقرآن ٢٦٥/٧، والتحرير والتنوير ٩٠/١٤.

(٢) انظر التحرير والتنوير ٩٠/١٤.

(٣) انظر فتح القدير ١٧٣/٣، وتفسير القرآن للمراغي ٤٨/١٤، والتفسير القرآني للقرآن ٢٦٥/٧.

(٤) انظر فتح القدير ١٧٣/٣، وتفسير القرآن للمراغي ٤٨/١٤، والتحرير والتنوير ٩٠/١٤و٩١.

القرآن من الطعن فيه، فأخبره الله بأنه قد أحاط علمًا بهذا كله، وبما ترتب عليه من ضيق صدره(١).

وضيق الصدر يكون من امتلائه غيظًا بسبب ما يكرهه الإنسان، كما هو عادة الطبيعة البشرية حين يصيب الإنسان ما يؤلمه ويحزنه، فيرى في نفسه انقباضًا وضيقًا في الصدر، وأسى وحسرة على ما حل به؛ لأن الجبلة البشرية والطبع الإنساني يقتضي هذا(٢).

ومن ثَمَّ كان التعبير بـ(قد) مع الفعل المضارع هو المناسب أتم المناسبة هنا، فقال: "﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾"؛ حيث اجتمعت جملة مؤكدات، وهي: القسم المدلول عليه بالواو، واللام المؤكدة له، و(قد) المفيدة للتحقيق، والفعل المضارع المسند إلى ضمير العظمة، الدال على استمرار علم الله- تعالى-، حسب استمرارِ متعلقه، وهو ضيق صدر النبي . ﷺ .، باستمرار ما يوجبه من أقوال الكفرة، كلما استمر النبي . ﷺ . في الصدع بما أمره الله أن يصدع به.

فعبر بفعل المستقبل (نعلم) مع أن علم الله- عز وجل- حاضر؛ للدلالة على أن كل ما صدر من المشركين في الماضي من جعلهم مع الله إلهًا آخر، مع استهزائهم بالنبي . ﷺ . ، وما يكون منهم في المستقبل فإن الله- تعالى- يعلمه علمًا أزليًا قبل أن يكون، وعلمًا مقارنًا للفعل، وعلمًا مستقبليًا إن حصل منهم ذلك في المستقبل.

والمعنى بناء على هذا كله: تَحَقَّق- مع ما لنا من العظمة- وقوعُ علمنا باستمرار ضيق صدرك وتجدده، كلما تجدد منهم القول في حقك وفي حق الذي

(١) انظر تفسير القرآن لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني ١٥٥/٣، والمحرر الوجيز ٣١٣/٣، وتفسير القرآن العظيم للسخاوي ٤٤٧/١، ونظم الدرر ٩٨/١١، وفتح القدير ١٧٣/٣، وروح المعاني ٣٢٨/٧، والتحرير والتنوير ٩١/١٤.

(٢) انظر تفسير القرآن لمقاتل بن سليمان ٤٤٠/٢، وجامع البيان للطبري ١٥٩/١٧، والمحرر الوجيز ٣٧٦/٣، ومفاتيح الغيب ١٦٥/١٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٥٣/٤، وفتح القدير ١٧٣/٣، وروح المعاني ٣٢٨/٧، وتفسير القرآن للمراغي ٤٨/١٤.

أرسلك، عند صدعك لهم بما تؤمر، وفي كل هذه المؤكدات توكيد الوعد للنبي ﷺ بالتأييد والنصر عليهم، وتوكيد الوعيد لهم بالعقاب(١).

ثم أمر الله – تعالى– نبيه ﷺ لكشف ما أصابه من ضيق الصدر بأن يفزع إلى تسبيح الله وتحميده والصلاة له؛ فقال: "﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾"، أي: فافزع فيما أصابك من أمر تكرهه منهم إلى ذكر الله– تعالى–، والثناء عليه، والشكر له، والصلاة، يكفك ربك من ذلك ما أهمك، وفي التعرض لعنوان الربوبية، مع الإضافة إلى ضمير النبي ﷺ ما لا يخفى من إظهار اللطف به ﷺ..

وقوله: "﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾"، يعني: كن من المصلين، فذكر من الصلاة حالة القرب من الله سبحانه وتعالى ـ، وهي السجود، وهي أكرم حالات الصلاة، وأقربها لنيل الرحمة، وفي الحديث: "عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى"(٢)، وهذا عمل من النبي ﷺ بهذه الآية(٣).

---

(١) انظر تفسير الجلالين ص ٣٤٥، ونظم الدرر ٩٨/١١، والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني ٢١٤/٢، وإرشاد العقل السليم ٩٣/٥، وروح المعاني ٣٢٨/٧، ومحاسن التأويل ٣٤٧/٦، والتفسير القرآني للقرآن ٢٦٥/٧، وزهرة التفاسير ٤١١٨/٨.

(٢) أخرجه أبوداود في سننه ٥٠٧/١، كتاب: الصلاة، باب: وقت قيام النبي ﷺ من الليل، برقم (١٣١٩)، وأحمد في المسند ٣٣٠/٣٨، برقم (٢٣٢٩٩)، وحسنه محمد بن ناصر الدين في صحيح الجامع الصغير ٨٥٨/٢، حديث رقم (٤٧٠٣)، وذكره مؤلفو كتاب صحيح الكتب التسعة وزوائده ص ٢٢١، حديث رقم (١٤٣٢)، وصححوه.

وقوله: إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى، أي: إذا نزل به هم، أو أصابه غم صلي، نحو قوله تعالي: "﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، أي: استعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها، والالتجاء إلى الصلاة عند وقوعها. انظر الكاشف عن حقائق السنن لشرف الدين الحسين بن عبدالله الطيبي ١٢٤٧/٤.

(٣) انظر جامع البيان ١٥٩/١٧، والمحرر الوجيز ٣٧٦/٣، وفتح القدير ١٧٣/٣، وإرشاد العقل السليم ٩٣/٥، ومحاسن التأويل ٣٤٧/٦.

ولما كان الصادر من المستهزئين اعتقادًا، وهو من أفعال القلب، وقولًا وهو ما يَكْذِبُون به في شأن النبي وما جاء به، وهو من أفعال الجوارح، أمره الله . عز وجل . بما يقابل هذا من ذكر الله وتسبيحه، وهو قول، وأمره بالسجود، وهو فعل، ولما أمره- سبحانه- بعبادة خاصة، أمره بعدها بالعبادة العامة التي تشمل جميع أنواع ما يتقرب به إلى الله . تعالى .، فقال: **"﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾" [الحجر: ٩٩]**، أي: حتى يأتيك الموت، الذي هو مُوقَن به، فالمراد باليقين هنا الموت.

ويحتمل أن يكون المعنى: اعبد ربك حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ في النصر الذي وعدك الله به[(١)].

ولم أر أحدًا من أهل العلم في النحو أو البلاغة أو الأدب أو التفسير ذكر هذه الآية على أن الفعل المضارع بعد (قد) فيها يفيد التقليل، وهيهات هيهات أن يدعي أحد ذلك، مع ما في هذه الآية من المؤكدات اللفظية والمعنوية والسياقية، ما يجعل ادعاء التقليل فيها ضربًا من الهزل.

وهذا حجة في سائر الآيات الأخرى التي جاء فيها الفعل المضارع بعد (قد)، وادعى بعضهم فيها التقليل، وأولوها تأويلات بعيدة، وأدل دليل على بعدها أنا لم نجد في هذه الآية محل البحث من أولها على تلك التأويلات التي أولوا عليها الآيات الأخرى.

الآية الرابعة

قال الله – تعالى-: **"﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ﴾" [النحل: ١٠٣]**

ذكر الله- تعالى- في السياق الذي وردت فيه هذه الآية بعض شبه المنكرين لنبوة النبي . ﷺ .، فقبلها قول الله- تعالى-: **"﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾" [النحل: ١٠١]**، والمراد بالآية هنا: الآية من القرآن الكريم، والمراد بالتبديل النسخ[(٢)]، ففي

(١) انظر المحرر الوجيز ٣٧٦/٣، ونظم الدرر ١٠٠/١١، وفتح القدير ١٧٣/٣.

(٢) لم يخالف في هذا إلا أبو مسلم الأصفهاني؛ حيث قال الرازي: "مذهب أبي مسلم =

الآية إخبار من الله ـ تعالى ـ عن قلة يقين المشركين وضعف عقولهم؛ لأنهم إذا رأوا تغيير بعض الأحكام قالوا للنبي ـ ﷺ ـ: "﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ﴾"، أي: إنما أنت يا محمد تختلق هذا القرآن من عند نفسك، وتفتريه من اختراعك وإنشائك(١).

ثم بَيَّن الله ـ تعالى ـ لهؤلاء المعترضين على حكمة النسخ، الزاعمين أن النبي ـ ﷺ ـ افتراه أن للوحي ـ ناسخه ومنسوخه ـ مصدرًا واحدًا هو الله ـ تعالى ـ بسفارة جبريل، فقال: "﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾" [النحل: ١٠٢]، وروح القدس هو جبريل ـ عليه السلام ـ،والمعنى: قل ـ يا أيها النبي الكريم ـ لهؤلاء المعترضين: إن هذا القرآن الذي تزعمون أنني افتريته، قد نزل به الروح الأمين على قلبي من عند ربي، نزولًا متلبسًا بالحق الذي لا يحوم حوله باطل؛ ليزيد المؤمنين ثباتًا في إيمانهم، وليكون هداية وبشارة لكل من أسلم وجهه لله رب العالمين(٢).

=

الأصفهاني: أن النسخ غير واقع في هذه الشريعة، فقال المراد هاهنا: إذا بدلنا آية مكان آية في الكتب المتقدمة، مثل أنه حول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، قال المشركون: أنت مفتر في هذا التبديل، وأما سائر المفسرين فقالوا: النسخ واقع في هذه الشريعة".اهـ. التفسير الكبير ٢٠/٢٧٠.

ورجح الإمام الأكبر: محمد سيد طنطاوي مذهب سائر المفسرين؛: "لأن قوله ـ تعالى ـ بعد ذلك: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢] يدل دلالة واضحة على أن المراد بالآية، الآية القرآنية": التفسير الوسيط للقرآن الكريم للإمام الأكبر: محمد سيد طنطاوي ٨/٢٣٦. وبمثل هذا فسرها سلف الأمة كما ثبت ذلك عن مجاهد، وقتادة، والحسن البصري، وابن زيد. انظر الآثار عن هؤلاء في تفسير القرآن ليحيى بن سلام بن أبي ثعلبة القيرواني ١/٨٩، وجامع البيان للطبري ١٧/٢٩٧، والدر المنثور ٥/١٦٧.

(١) انظر تفسير القرآن لمقاتل بن سليمان ٢/٤٨٦، وجامع البيان ١٧/٢٩٧، والكشف والبيان للثعلبي ١٦/١٢٥، وبحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ٢/٢٩١، ومعالم التنزيل للبغوي ٥/٤٣، ومفاتيح الغيب ٢٠/٢٧٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٦٠٣، وروح المعاني ٧/٤٦٦، والوسيط في تفسير القرآن للإمام الأكبر: محمد سيد طنطاوي ٨/٢٣٦.

(٢) انظر جامع البيان ١٧/٢٩٧، وبحر العلوم ٢/٢٩٢، والكشف والبيان ١٦/١٢٦، والمحرر الوجيز ٣/٤٢١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٦٠٣، وفتح القدير ٣/٢٣٢، والوسيط في =

ولما نقض الله ـ سبحانه ـ شبهتهم هذه ذكر شبهة أخرى بأوضح من ذلك وأفضح، فقال: "﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾"، وهذا إبطال لتلبيس آخر مما يلبسون به على عامتهم، وذلك لأنهم كانوا يقولون: إن محمدًا إنما يتلقى القرآن من رجل من أهل مكة، هو الذي يعلمه، وهذا ما ذكره الله حينما ذكر قول بعض طغاتهم في قوله: "﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾" [المدثر: ٢٤-٢٥]، أي: لا يلقنه ملك، بل يعلمه إنسان(١).

: "عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ الْحَضْرَمِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: كَانَ لَنَا غُلَامَانِ نَصْرَانِيَّانِ مِنْ أَهْلِ عَيْنِ التَّمْرِ(٢)، اسْمُ أَحَدِهِمَا: يَسَارٌ، وَالْآخَرُ جَبْرٌ، وَكَانَا يَصنعانِ السُّيوفَ بمكَّةَ، وَكَانَا يَقْرَآنِ كُتُبًا لَهُمَا بِلِسَانِهِمَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ يَمُرُّ بِهِمَا فيَسْمَعُ قِرَاءَتَهُمَا، فَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: يَتَعَلَّمُ مِنْهُمَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ـ تَعَالَى ـ: "﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾"(٣).

و: "عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ فِي قَوْلِهِ ـ عَزَّ وجَلَّ: "﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾"، قَالُوا: إِنَّمَا يُعَلِّمُ مُحَمَّدًا عَبْدٌ لِبَنِي الْحَضْرَمِيِّ وَهُوَ صاحِبُ الْكُتُبِ. فَقَالَ اللهُ: "﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾"(٤).

=

تفسير القرآن ٢٣٧/٨.

(١) انظر جامع البيان ٢٩٨/١٧، ومفاتيح الغيب٢٧١/٢٠، ولباب التأويل في معاني التنزيل لعلي بن محمد بن عمر الشيحي المعروف بالخازن ٩٩/٣، والبحر المحيط ٥٩٥/٦، ونظم الدرر ٢٥٦/١١، والتحرير والتنوير ٢٨٦/١٤.

(٢) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بالعراق، التي كانت في عهد النبوة مقسمة بين فارس والروم، وكان أهلها أعاجم، يجلب منها التمر إلى سائر البلاد، وهو بها كثير جدّا، افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر، على يد خالد بن الوليد، في السنة الثانية عشرة من الهجرة. انظر معجم البلدان لياقوت بن عبدالله الحموي١٧٦/٤.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور قي سننه ٨١/٦، برقم (١٢٤٩)، وابن جرير الطبري في جامع البيان ٣٠٠/١٧، والواحدي في أسباب النزول ص ٢٨١، وصححه محققه: عصام بن عبد المحسن الحميدان، وذكره صاحب كتاب الصحيح المسند من أسباب النزول ص ١٢٤، وصححه.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٨٩/٢، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة النحل، برقم =

و: "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُ قَيْنًا[1] بِمَكَّةَ، وَكَانَ أَعْجَمِيَّ اللِّسَانِ، وَكَانَ اسْمُهُ بَلْعَامُ، فَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَرَوْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ وَحِينَ يَخْرُجُ مِنْ عِنْدِهِ، فَقَالُوا: إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَلْعَامُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: "﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾"[2].

وقد أوصل ابن الجوزي الأقوال في تحديد هذا البشر إلى تسعة أقوال[3].

قال النحاس: "هذه الأقوال ليست بمتناقضة؛ لأنه يجوز أن يكونوا أومأوا الى هؤلاء جميعًا، وزعموا أنهم يعلمونه"[4].اهـ

وقال القرطبي: "الكل محتمل، فإن النبي ﷺ ربما جلس إليهم في أوقات مختلفة؛ ليعلمهم مما علمه الله، وكان ذلك بمكة"[5].اهـ

=

(٣٣٦٣)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".اهـ. وقال الذهبي في التلخيص: "صحيح".اهـ، والبيهقي في شعب الإيمان ١٥٩/١، الفصل الثاني من شعب الإيمان، باب: في الإيمان برسل الله صلوات الله عليهم عامة، برقم (١٣٧)، والطبري في جامع البيان ٢٩٩/١٧، وذكره صاحب كتاب الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل المرتب على أبواب الفقه ٦٩/٨، وصححه، وذكره مؤلفو كتاب صحيح الكتب التسعة وزوائده ص ١٢٠٣، برقم (٨٦٩٣)، وصححوه.

(١) القَيْن: الحَدَّاد. انظر العين ٢١٩/٥.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٩٩/١٧، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٦٧/٥، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه، وحكم على سنده بالضعف. ولكن إن كان ضعيفًا من هذا الطريق فقد شهد له ما صح من طرق أخرى مما ذكرته قبله.

(٣) انظر زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ٥٨٤/٢.

وانظر الآثار المروية في تحديد هذا البشر الذي ادعى المشركون تعلم النبي ـ ﷺ ـ منه: جامع البيان للطبري ٢٩٨/١٧- ٣٠١، وتفسير ابن أبي حاتم ٢٣٠٣/٧، وأسباب النزول للواحدي ص ٢٨١و٢٨٢، والدر المنثور ١٦٧/٥إلى ١٦٩.

(٤) معاني القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس ١٠٧/٤، وانظر فتح القدير ٢٣٣/٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٧٨/١٠.

وقال أبو السعود: "إنما لم يصرح باسم من زعموا أنه يعلمه . مع كونه أدخل في ظهور كذبهم .؛ للإيذان بأن مدار خطابهم ليس بنسبته . عليه السلام . إلى التعلم من شخص معين، بل من البشر كائنًا مَنْ كان، مع كونه . عليه السلام . معدِنًا لعلوم الأولين والآخرين"(١).

والمراد من الاسم الموصول (الَّذِي) على القول بتعدد من زعموا نسبة التعليم إليه الجنس، وجاء بصيغة المفرد لأنه يرجع إلى مفرد في اللفظ وهو كلمة (بشر)(٢).

ومن ثَمَّ فسر الطاهر بن عاشور الإلحاد في هذه الآية بـ: "الميل بكلامهم المبهم إلى قصد معين؛ لأنهم قالوا: "﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾"، وسكتوا عن تعيينه؛ توسعة على أنفسهم في اختلاق المعاذير، فإذا وجدوا ساذجًا أبله يسأل عن المَعْنِي بالبشر قالوا له: هو جبر أو بلعام، وإذا توسموا نباهة السائل تجاهلوا وقالوا: هو بشر من الناس، فإطلاق الإلحاد على هذا المعنى مثل إطلاق الميل على الاختيار"(٣).

وعلى كل حال فالحاصل أن القوم اتهموا النبي . ﷺ . بأنه يتعلم هذا القرآن من غيره، ثم إنه يظهره من نفسه، ويزعم أنه إنما عرفه بالوحي، وهو كاذب فيه، ولهذا قال الله . تعالى .: "﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾"، أي: آدمي، وما هو من عند الله(٤).

وفى قول الله . تعالى .: "﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾" إشارة بارزة كان من الواجب عليهم أن يلتفتوا لها، ويقفوا عندها، وأن ينظروا في هذا القول الذي يقولونه من غير روية، ولا تدبر، وهي كلمة (بشر)، فهل يستطيع بشر . مهما كان . الإتيان بمثل هذا القرآن؟ أليسوا هم بشرًا؟ فما لهم . إذًا . لا يأتون بسورة من مثله؟!

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١٤١/٥، وانظر روح المعاني ٤٦٨/٧.
(٢) انظر روح المعاني ٤٦٩/٧، والتحرير والتنوير ٢٨٧/١٤.
(٣) التحرير والتنوير ٢٨٧/١٤.
(٤) انظر جامع البيان ٢٩٨/١٧، وزاد المسير ٥٨٤/٢، ومفاتيح الغيب ٢٧١/٢٠.

ثم إن هذا البشر الذي يدعون أنه يعلم النبي ﷺ لِمَ لا يأخذ مكان النبي ﷺ، ويَدَّعِي لنفسه ما يَدَّعيه محمد ﷺ من أنه رسول من عند الله، يتلقى منه هذا القرآن؟!(١).

ومن ثَمَّ كشف الله تعالى هذا اللبس بأوضح كشف، إذ قال قولًا فصلًا دون طول جدال: "﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ﴾"، أي: لسان الرجل الذي يشيرون إليه، ويميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان أعجمي غير بَيِّن، ولا يفصح في كلامه، وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة وإعجاز(٢). وتقرير دليل هذا الجواب من أوجه:

الوجه الأول: أنَّ القرآن إنما كان معجزًا لما فيه من الفصاحة والبلاغة في ألفاظه وأساليبه الدالة على المعاني، فلو فرضنا أن النبي ﷺ يتعلم المعاني من ذلك الأعجمي فلا يقدح هذا في المقصود؛ إذ القرآن إنما كان معجزا لفصاحته(٣).

الوجه الثاني: أنَّه كيف يعلم النبيَّ ﷺ جبرٌ أو يسارٌ أو بلعامُ أو غيرهم وهم أعاجم، في لسان كل واحد منهم عجمة تمنعه من الإتيان بفصيح الكلام، وهذا القرآن الذي نزل بلسانكم العربي على محمد ﷺ لا يستطيع الإنس والجن أن يأتوا بسورة واحدة منه، وأنتم أهل الفصاحة والبلاغة، فكيف يقدر من هو أعجمي على مثله؟! وأين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي يشيرون إليه؟!

فثبت بهذا البرهان أن الذي جاء به محمد ﷺ وحي أوحاه الله إليه، وليس من تعليم أحد من أولئك الأعاجم الذين يشيرون إليهم، ولم يأت به محمد ﷺ من تلقاء نفسه، بل هو وحي من الله سبحانه وتعالى.(٤).

---

(١) انظر التفسير القرآني للقرآن ٣٧٢/٧.

(٢) انظر جامع البيان ٣٠١/١٧، والتفسير البسيط للواحدي ٢٠٤/١٣، والكشاف ٦٣٥/٢، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٩٩/٣، والبحر المحيط ٥٩٦/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٠٣/٤، والتحرير والتنوير ٢٨٧/١٤.

(٣) انظر مفاتيح الغيب ٢٧١/٢٠و٢٧٢، وأنوار التنزيل ٢٤١/٣، وروح المعاني ٤٦٩/٧.

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٧٧/١٠، وأنوار التنزيل ٢٤١/٣، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٩٩/٣، والبحر المحيط ٥٩٦/٦، وفتح القدير ٢٣٣/٣، وروح المعاني ٤٦٩/٧.

الوجه الثالث: أنَّ القرآن الكريم قد حوى علومًا هائلة كثيرة، وتعلم تلك العلوم لا يتحقق إلا إذا كان المُعَلِّم قد بلغ الغاية في الفضل والتحقيق، فلو وجد فيهم رجل بلغ إلى هذه الدرجة من العلم لاشتهر وانتشر أمره وأشاروا إليه بالبنان، ورجل بهذه الأوصاف لم يكن موجودًا عندهم في ذلك الوقت، فكيف يمكن تحصيل هذه المعارف العالية والعلوم النفيسة من عند فلان وفلان؟(١).

والطعن في نبوة النبي ﷺ بأمثال هذه الطعون الهزيلة من أكبر الأدلة على ظهور الحجة للنبي ﷺ، فقد عجز أعداؤه عن الطعن في تلك الحجة، ولأجل غاية عجزهم عدلوا إلى هذه الطعون الهزيلة(٢).

ومن ثَمَّ يتضح بجلاء أنَّ الإتيان بالفعل المضارع بعد (قد) في هذه الآية قد بلغ في التوافق والاتساق مع الآية غايته، فبما أن البشر المنسوب إليهم تعليم النبي ﷺ كثيرون، وبما أن المشركين قد تكررت منهم تلك التهمة، وما زالوا مستمرين في ترويجها، قال الله تعالى: "﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾" ، فأقسم الله تعالى أنه يعلم علمًا أكيدًا أن أولئك الكافرين يقولون: إن هذا القرآن الذي جاء به النبي ﷺ ليس وحيًا من الله، وإنما تعلمه من بشر من الناس.

والمعنى: أحطنا علمًا مستمرًا غير خاف علينا بما يكرره أولئك الكذابون من قولهم: إنما يعلم محمدًا هذا القرآنَ المتلوَ بَشَرٌ.

فأكد الجملة بواو القسم، وباللام المؤكدة له، وبـ(قد) التي تفيد التحقيق، وبالفعل المضارع الدال على الاستمرار والتجدد والتكثير، والمقترن بنون العظمة، مع الأفعال المضارعة الأخرى: (يقولون)، (يعلمه)، (يلحدون)، مما يفيد تكرر علم الله وكثرته، بسبب ما تكرر منهم من إلحاد وميل عن الحق في قولهم: إنَّ محمدًا من دأبه ان يتعلم هذا القرآن من بشر(٣).

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ٢٧٢/٢٠، وأنوار التنزيل ٢٤١/٣، وروح المعاني ٤٦٩/٧.

(٢) انظر مفاتيح الغيب ٢٧٢/٢٠، وأنوار التنزيل ٢٤١/٣، وروح المعاني ٤٦٩/٧.

(٣) انظر التيسير في التفسير ٣٣٥/٩، وتفسير الجلالين ص ٣٦١، ونظم الدرر ٢٥٦/١١، وفتح القدير ٢٣٢/٣، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر: محمد سيد طنطاوي ٢٣٨/٨.

قال أبو السعود .رحمه الله .: "تحليةُ الجملة بفنون التأكيدِ؛ لتحقيق ما تتضمنه من الوعيد، وصيغةُ الاستقبال؛ لإفادة استمرار العلم بحسب الاستمرار التجددي في متعلَّقه؛ فإنهم مستمرون على تفوه تلك العظيمة"(١).اهـ.

وقال عبد الكريم الخطيب: "التعبير بفعل المستقبل في قوله- تعالى-: "﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾" إشارة إلى أنَّ علم الله محيط بهم، وأنه- سبحانه وتعالى- يعلم ما قالوا، وما سيقولون من تلك المقولات المنكرة، التي يقولونها في النبي الكريم، وفى كتاب الله الذي بين يديه"(٢).اهـ.

وقال الطاهر بن عاشور: "افتتاح الجملة بالتأكيد بلام القسم و(قد) يشير إلى أن خاصة المشركين كانوا يقولون ذلك لعامتهم، ولا يجهرون به بين المسلمين؛ لأنه باطل مكشوف، وأن الله أَطْلَع المسلمين على ذلك"(٣).اهـ.

هذا ما سار عليه المفسرون في تفسير هذه الآية وفي فهمها، ولم أرَ مَنْ تأولها، أو حمل معناها على التقليل، أو حمل المضارع على معنى الماضي، إلا ما قاله أبو حيان .رحمه الله .: "(يعلم) مضارع اللفظ، ومعناه المضي، أي: ولقد علمنا"(٤). اهـ.

وقد سبقت كلمتنا أن ما يفهمه من معنى التقليل من الفعل المضارع بعد (قد) هو ما يحدوه إلى هذا الصرف لمعنى المضارع إلى الماضي، مع أنه لم يوجه هذا الصرف من لفظ الماضي الذي أوله به إلى لفظ المضارع الذي جاء في الآية

وقد سبق أن أثبتنا أن الفعل المضارع بعد (قد) لا يفيد التقليل في لغة العرب، فلا داعي لهذا الصرف، سيما ومقتضى الحال الخاص بالآية يجزم بأن الفعل المضارع في مثل هذا السياق قد جاء في محله الذي لا يغني عنه الفعل الماضي.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ١٤١/٥، وانظر روح المعاني ٤٦٨/٧.

(٢) التفسير القرآني للقرآن ٣٧٢/٧.

(٣) التحرير والتنوير ٢٨٦/١٤.

(٤) البحر المحيط في التفسير ٥٩٥/٦، وانظر المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك)، لأبي إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي ٢٦٧/٩

الآية الخامسة والآية السادسة

قال الله . تعالى .: "﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾" [النور: ٦٣-٦٤]

قبل هذه الآية جاء قول الله . تعالى .: "﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ﴾" [النور: ٦٢]؛ لأنه لما كان تجمع قريش ومن حالفهم من القبائل في غزوة الأحزاب، بدأ النبي ـ ﷺ . في حفر خندق حول المدينة، وعمل معه المسلمون فيه، وأبطأ المنافقون عن رسول الله . ﷺ . وعن المسلمين، وجعلوا يتسللون إلى أهليهم بغير إذن ولا علم من النبي . ﷺ . ، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته حاجة شديدة استأذن من رسول الله ـ ﷺ . ، فيأذن له، فإذا قضى حاجته، رجع إلى العمل في حفر الخندق؛ احتسابًا لله، ورغبة في الخير، فأنزل الله هذه الآيات في المؤمنين وفي المنافقين(١).

فمدح الله المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله حق الإيمان، الذين يعظمون رسول الله . ﷺ .، فإذا كانوا معه على أمر جامع، وهو الأمر الهام الذي يستلزم اشتراك الجماعة في شأنه، كالجهاد في سبيل الله، وكالإعداد لعمل من الأعمال العامة التي تهم المسلمين جميعًا، وكالجمعة، لم يذهبوا عنه ولم يتركوه حتى يستأذنوه؛ لأن هذا الاستئذان دليل على صدق إيمانهم وحسن أدبهم مع نبيهم . ﷺ ـ ، ثم توعد من لم يفعل ذلك وذهب من غير استئذان، وهم المنافقون، فقال .

(١) انظر تاريخ الرسل والملوك للطبري ٥٦٧/٢، والسيرة النبوية لابن هشام ٢١٦/٢، ودلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ٤٠٨/٣، والدر المنثور ٢٢٩/٦.

تعالى .: "﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ﴾"(١).

وجملة: "﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ﴾" حُمِلَت على ثلاثة معان:

المعنى الأول: لا تجعلوا دعاءكم الرسولَ إذا دعوتموه كدعاء بعضكم بعضًا، فلا تقولوا له: يا محمد، مصرحين باسمه، ولا ترفعوا أصواتكم عنده كما يفعل بعضكم مع بعض، بل قولوا له: يا نبي الله، يا رسول الله، مع خفض الصوت؛ احترامًا له . ﷺ . ، فأعلم الله المخاطبين بفضل النبي . ﷺ . على سائر البرية حتى في مخاطبته والتحدث معه، فقوله: (دعاء الرسول) من إضافة المصدر إلى مفعوله، ويشهد لهذا المعنى قول الله . تعالى .: "﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾"**[الحجرات: ٢]**(٢).

المعنى الثاني: أنَّها نهي من الله . تعالى . عن التأخر عند استدعاء النبي . ﷺ . لهم، وتحريم الإبطاء في تنفيذ أمر من أوامره . ﷺ .، فأنبأهم بهذه الآية بوجوب الاستجابة لدعوة الرسول . ﷺ . إذا دعاهم، فهي كقول الله . عز وجل .: "﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ﴾" **[الأنفال: ٢٤]**، والمعنى: لا تجعلوا استجابتكم لدعوة الرسول إياكم للحضور لديه على سبيل التخيير كما تتخيرون في استجابة دعوة بعضكم بعضا، بل الاستجابة لدعوة النبي لكم بالحضور حتم لازم وفرض واجب، ومخالفة ذلك حرام، ويدل على هذا المعنى

(١) انظر إرشاد العقل السليم ١٩٨/٦، وفتح القدير ٦٧/٤، وروح المعاني ٤١٤/٩.

(٢) انظر تفسير القرآن لمقاتل بن سليمان ٢١١/٣، وجامع البيان ٢٣٠/١٩، وتأويلات أهل السنة للإمام أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي ٦٠١/٧، والكشف والبيان ٣٤٧/١٩، والتفسير البسيط للواحدي ٣٨٩/١٦، والكشاف ٢٦٠/٣، والمحرر الوجيز ١٩٨/٤، ومفاتيح الغيب ٤٢٥/٢٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧٩/٦.

قول الله . تعالى . عقيب هذا: "﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾".

المعنى الثالث: أنَّ الله نهى المؤمنين أن يخالفوا أمر النبي . ﷺ . فيتعرضوا لدعاء الرسول عليهم، ودعاء الرسول عليهم مستجاب وليس كدعاء بعضهم على بعض، فربما استجيب وربما رده الله، والمعنى على هذا: لا تعتقدوا أن دعاءه . ﷺ . على غيره كدعاء غيره؛ فإن دعاءه مستجاب، فاحذروا أن يدعو عليكم فتهلكوا، وعلى هذا المعنى فإضافة (دعاء) إلى الرسول من إضافة المصدر إلى فاعله(١).

وكل هذه المعاني لا منافاة بينها، ولكل معنى منها قرينة تدل عليه، فيمكن حمل الآية عليها جميعًا.

ثم قال- تعالى-: "﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾".

التسلل هو الانصراف في خفاء، واللواذ هو أن يتستر الواحد منهم برجل آخر أو بجبل، أو بسارية من سواري المسجد، ثم ينصرف دون إذن ولا علم من النبي . ﷺ . ، وهذا ما كان يفعله المنافقون حالة جهاد المسلمين مع المشركين، كما كان في حرب الأحزاب وحفر الخندق حول المدينة، حيث ضرب الرسول . ﷺ ـ الخندق حول المدينة، فعمل رسول الله . ﷺ . في الخندق بيده، وعمل معه المسلمون، وتخلف المنافقون عن العمل، وجعلوا يعتذرون بالضعف، ويتسللون إلى أهليهم بغير إذن من رسول الله . ﷺ .(٢).

ولا مانع . أيضًا . أن تكون الآية في شأن المنافقين الذين كان يثقل عليهم يوم الجمعة؛ لأن النبي ـ ﷺ . كان يذكر في الخطبة معايبهم ويفضح تصرفاتهم، فيقوم المنافق وينسل ويلوذ . أي يتخفى . بالرجال وبالسارية لئلا يراه النبي ـ ﷺ . حتى يخرج من المسجد(٣).

---

(١) انظر جامع البيان ٢٣٠/١٩، والكشف والبيان ٣٤٧/١٩، والكشاف ٢٦٠/٣، والمحرر الوجيز ١٩٨/٤، ومفاتيح الغيب ٤٢٥/٢٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧٩/٦.

(٢) انظر تفسير القرآن ليحيى بن سلام ٤٦٧/١، والهداية الى بلوغ النهاية ٥١٦٦/٨، والنكت والعيون ١٢٨/٤، ومعالم التنزيل للبغوي ٦٨/٦، وزاد المسير ٣١٠/٣.

(٣) انظر تفسير القرآن لمقاتل بن سليمان ٢١١/٣، وتأويلات أهل السنة ٦٠٢/٧، وبحر العلوم =

والمعنى: إنكم أيها المنصرفون خفية وتسترًا عن الرسول ـ ﷺ ـ بغير إذنه إن كان أمر من يفعل ذلك خافيًا على النبي ـ ﷺ ـ فإن الله يعلم ذلك ولا يخفى عليه(١).

وعلى هذا فالآية تهديد للذين كانوا سبب نزولها، ومن ثم أفادت (قد) في هذه الآية التوكيد، أي: نؤكد تحقق حصول هذا العلم من الله ـ سبحانه وتعالى ـ، لأنهم يظنون أنهم إذا تسللوا متسترين لم يطلع عليهم رسول الله ـ ﷺ ـ، فأخبرهم الله أنه علم بهم، وأعلم نبيه ـ ﷺ ـ بذلك، لذلك جاء بعدها قوله: "﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾"، فجاءت الفاء؛ لترتب الحذر والأمر به على ما قبلها من تحقق علم الله بأحوال أولئك المنافقين، فإنه مما يوجب الحذر(٢).

قال الزمخشري: "أدخل (قد)؛ ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق، ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد، وذلك أن (قد) إذا دخلت على

=

للسمرقندي ٥٢٧/٢، والنكت والعيون ١٢٨/٤، والبسيط في التفسير للواحدي ٣٨٨/١٦، والكشاف ٢٦٠/٣، وزاد المسير ٣١٠/٣.

(١) انظر تفسير القرآن لمقاتل بن سليمان ٢١١/٣، وجامع البيان ٢٣١/١٩، وبحر العلوم ٥٢٦/٢، والكشف والبيان ٣٤٩/١٩، والنكت والعيون ١٢٨/٤، والتفسير البسيط للواحدي ٣٩١/١٦، والتيسير في التفسير لأبي حفص النسفي ١٨١/١١، والكشاف ٢٦٠/٣، وزاد المسير ٣١٠/٣، ومفاتيح الغيب ٤٢٥/٢٤، والجامع لأحكام القرآن ٣٢٢/١٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨٩/٦، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر: محمد سيد طنطاوي ١٦١/١٠.

(٢) انظر المحرر الوجيز ١٩٨/٤، وزاد المسير ٣١٠/٣، ومفاتيح الغيب ٤٢٥/٢٤، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٣٠٧/٣، وتفسير الجلالين ص ٤٦٩، وإرشاد العقل السليم ١٩٨/٦، وروح المعاني ٤١٤/٩، والتحرير والتنوير ٣١٠/١٨، والبستان في إعراب مشكلات القرآن لأحمد بن أبي بكر بن عمر الجبلي المعروف بابن الأحنف اليمني ٣٦٠/١.

المضارع كانت بمعنى (ربما) فوافقت، (ربما) في خروجها إلى معنى التكثير"[١].اهـ.

وإنما أتي بالمضارع هنا ليثبت أن هذا العلم ليس لما مضى فقط، بل لما مضى ولما يستقبل؛ لأن تلك المخالفات لم تحدث منهم مرة واحدة، بل تتكرر منهم حينًا بعد حين، فعلم الله في هؤلاء المتسللين ليس علمًا بمن سبق تسلله، بل بمن سبق تسلله، وبمن يتسلل في المستقبل، ولذلك توعدهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ على ذلك بأنه يعلم هذا العمل منهم، وإخباره بأنه يعلمه دليل على أنه سيجازيهم عليه، إذ لا فائدة من الإخبار بالعلم إلا وقوع المجازاة على ذلك.

قال البقاعي: "لما كان بعضهم يظهر المؤالفة، ويبطن المخالفة، حذر من ذلك بشمول علمه وتمام قدرته، فقال ـ معللًا مؤكدًا محققًا مُعْلِمًا بتجديد تعليق العلم الشهودي كلما جدد أحدٌ خيانةً؛ لدوام اتصافه بإحاطة العلم من غير نظر إلى زمان ـ: "﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾"، أي: تسللًا مستخفين به بتستر بعضهم فيه ببعض"[٢].اهـ.

وقال المراغي: "توعد المنصرفين خفية بغير استئذان فقال: "﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾" ، أي: قد يعلم الله الذين يخرجون متسللين من المسجد في الخطبة واحدًا بعد واحد، من غير استئذان، خفية مستترين بشيء، وإن عملهم هذا إن خفى على الرسول ـ ﷺ ـ فلا يخفى على من يعلم السر والنجوى، ومن لا يعزب عنه مثقال ذرة، ويعلم الدواعي التي تحملهم على ذلك، ولديه الجزاء على ما يفعلون"[٣].اهـ.

ثم رتب على التهديد الأول تهديدًا آخرَ فقال: "﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾"، أي: "إنكم أيها المنصرفون عن نبيكم بغير إذنه، تسترًا وخفية منه، وإن خفي أمر من يفعل ذلك منكم على

(١) الكشاف ٣/٢٦٠.

(٢) نظم الدرر ١٣/٣٢٥، وانظر السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ٢/٦٤٤و٦٤٥.

(٣) تفسير القرآن للمراغي ١٨/١٤١.

رسول الله . ﷺ . فإن الله يعلم ذلك ولا يخفى عليه؛ فليتق من يفعل ذلك منكم أن تصيبهم فتنة من الله، أو يصيبهم عذاب أليم، فيطبع على قلوبهم، فيكفروا بالله.....، أو يصيبهم في عاجل الدنيا عذاب من الله موجع، على صنيعهم ذلك، وخلافهم أمر رسول الله . ﷺ ."[1].

هذا ما سار عليه جل المفسرين في تفسير هذه الآية، من جعل (قد) للتحقيق والتوكيد، وجعل الفعل المضارع بعدها مفيدًا للتكثير والتجدد والاستمرار، وليس هذا لأن الفعل في الآية مسند إلى الله . تعالى . فقط، بل لأن (قد) تفيد التحقيق، والفعل المضارع بعدها يدل على التكثير في أصل الوضع اللغوي، وعلى العادة التي كان العرب يتحدثون بها، بدليل أن جل المفسرين استدلوا على هذا المعنى في هذه الآية بجملة من أبيات الشعر التي تشهد لذلك، كما يقف عليه مَنْ راجع أقوالهم في تفسير هذه الآية.

ومن ثَمَّ يظهر ضعف ما قاله بعض أهل العلم من أنَّ (قد) مع الفعل المضارع في هذه الآية أفادت التقليل، لكن التقليل راجع إلى متعلق علم الله- تعالى-، يعني: أن المنافقين الفاعلين لذلك التسلل قليلون[2].

وقيل: الغرض ههنا التكثير والتحقيق للعلم بما ذكره، وإنما أورده على جهة الاستهانة بهم والتهكم بحالهم، حيث أسروا الخداع والمكر، وتسللوا وانصرفوا عن النبي . ﷺ . ظنًا منهم أن الله . تعالى . غير مطلع على هذه الخفايا ولا محيط بتلك السرائر، فأورده على جهة التقليل، مع أن المقصود به التحقيق والتكثير؛ انتقاصًا من شأنهم[3].

---

(١) جامع البيان ٢٣١/١٩، وانظر تفسير القرآن لمقاتل بن سليمان ٢١١/٣، وبحر العلوم ٥٢٧/٢، والنكت والعيون ١٢٩/٤، ومفاتيح الغيب ٤٢٥/٢٤، والجامع لأحكام القرآن ٣٢٣/١٢، والتحرير والتنوير ٣١١/١٨، والوسيط في التفسير للإمام الأكبر ١٦١/١٠.

(٢) انظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٤٤٧/٨، والمفردات في غريب القرآن ص ٦٥٧، والبرهان في علوم القرآن ٣٠٩/٤، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢٤٢/٤.

(٣) انظر الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٩١/٣، وفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) ٦٩/٦.

قلت: هذه تأويلات في غاية البعد، والذي حمل من قالها على ذلك هو استشعارهم بأن (قد) لما دخلت على الفعل المضارع (نعلم) أفادت التقليل، ومن المستحيل أن يقل علم الله ـ تعالى ـ بتسلل هؤلاء المنافقين، فلم يجدوا بدًا من هذه التأويلات المتكلفة، وحمل الآية على تلك المعاني التي لا حاجة إليها، ولا دليل عليها(١)؛ فقد أثبتنا في الفصل الأول أن (قد) إذا دخلت على الفعل المضارع لا تفيد تقليلًا، بل تفيد التكثير والتحقيق لمعنى هذا الفعل، وأن هذا الفعل المضارع أفاد معاني في سياقه لا يمكن أن تتحقق بالفعل الماضي.

ثم إنَّ ما ادعاه بعضهم من أنَّ عدد المنافقين كان قليلًا ادعاء فيه نظر، فنصوص الوحيين الكتاب والسنة تدل على أنَّ عدد المنافقين كان كثيرًا جدًا حتى أصبح النفاق ظاهرة تملأ المدينة النبوية، فجل سور القرآن المدنية مشحونة بمئات الآيات التي تتحدث عن تلك الظاهرة وعن أهلها، ويوم أحد انخذل رأس المنافقين عبدالله بن أبي ابن سلول بثلث الجيش الذي كان مع الرسول ـ ﷺ ـ، وهم ثلاثمائة، وبقي معه ثلثاه وهم سبعمائة(٢).

ثم نبه الله ـ تعالى ـ على تعظيم نفسه بإثبات ملكه التام لكل ما في السموات والأرض؛ للدلالة على قدرته ـ عز وجل ـ عليهما، وعلى ما فيهما وما بينهما، واقتداره على المجازاة بثواب أو بعقاب؛ لأن علمه قد أحاط بكل ما يفعله المكلفون، سواء أخفوه أو أعلنوه، وكل ذلك كالزجر عن مخالفة أمره، فقال ـ عز من قائل ـ: "﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾"، أي: إن جميع ما في السموات والأرض مختص به خلقًا وملكًا وعلمًا، فلا يخفى عليه أحوال المنافقين، وإن كانوا يجتهدون في سترها عن العيون، فلا ينبغي لمملوك أن يخالف أمر مالكه فيعصيه؛ فيستوجب بذلك عقوبته، فكذلك أنتم أيها المنافقون، لا يصلح لكم

(١) انظر شرح التسهيل لابن مالك ١٨١/٣.

(٢) انظر السير والمغازي لابن إسحاق ص٣٢٤، والسيرة النبوية لابن هشام ٦٤/٢، وتاريخ الرسل والملوك للطبري ٥٠٤/٢، وصحيح السيرة النبوية تأليف: إبراهيم بن محمد بن حسين العلي ص٢٠٤.

مخالفة أمر ربكم، فلا تتصرفوا عن رسوله ـ ﷺ ـ إذا كنتم معه على أمر جامع إلا بإذنه؛ لأن الله ـ تعالى ـ قد أحاط علمًا بكل ما أنتم عليه من أعمال، سواء أعلنتموها أو أسررتموها، وسوف يجازيكم على ذلك[1].

قال الرازي: "أما قوله ـ تعالى ـ: **"﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾"** فإنما أدخل (قد) لتوكيد علمه بما هم عليه من المخالفة في الدين والنفاق، ويرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد، وذلك لأن (قد) إذا أدخلت على المضارع كانت بمعنى (ربما)، فوافقت (ربما) في خروجها إلى معنى التكثير"[2].اهـ.

وقال ابن كثير: "يخبر ـ تعالى ـ أنه مالك السموات والأرض، وأنه عالم غيب السموات والأرض، وهو عالم بما العباد عاملون في سرهم وجهرهم، فقال: **"﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾"**، و(قد) للتحقيق، كما قال قبلها: **"﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾"**..، فكل هذه الآيات فيها تحقيق الفعل بـ(قد)، كما يقول المؤذن تحقيقًا وثبوتًا: قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، فقوله ـ تعالى ـ: **"﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾"** أي: هو عالم به، مشاهد له، لا يعزب عنه مثقال ذرة"[3].اهـ.

وقال البقاعي: "لما كانت أحوالهم من جملة ما له، كان من المعلوم أنها لم تقم في أصلها ولا بقاء لها إلا بعلمه ولأنها بخلقه، فلذلك قال ـ محققًا مؤكدًا مرهبًا ـ: **"﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ﴾"** أيها الناس كلكم **"﴿عَلَيْهِ﴾"** أي: الآن، والمراد

(١) انظر تفسير القرآن لمقاتل بن سليمان ٢١١/٣، وتفسير القرآن ليحيى بن سلام ٤٦٧/١، وجامع البيان ٢٣٢/١٩، والهداية الى بلوغ النهاية ٥١٦٩/٨، والكشاف ٢٦١/٣، ومفاتيح الغيب ٤٢٧/٢٤، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ١١٦/٤، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ٥٢٣/٢، والتحرير والتنوير ٣١١/١٨.

(٢) مفاتيح الغيب ٤٢٧/٢٤، وانظر تفسير القرآن العظيم للسخاوي ٦٢٣/١، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ١١٦/٤، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ٥٢٣/٢، والتسهيل لعلوم التنزيل ٧٧/٢، وحاشية محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني ٢٧٨/٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٩٠/٦.

بالمضارع هنا وجود الوصف من غير نظر إلى زمان، ولو عبر بالماضي لتوهم الاختصاص به"[١]:اهـ

وقال عبد الكريم الخطيب: "في قوله ـ تعالى ـ: **"﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾"** تحذير للمخالفين لله، الخارجين على سننه، المتمردين على أوامره تحذير لهم من عقابه الراصد، وعذابه الأليم؛ لأنه ـ سبحانه ـ يعلم كل شيء، ويعلم من الإنسان ما يخفي وما يعلن، وما هو عليه من صلاح وفساد، وطاعة وعصيان، واستقامة وانحراف، و(قد) هنا للتحقيق والتوكيد"[٢].اهـ.

ثم لما ذكر الله هذا الشأن في الدنيا، ذكر ما نؤول إليه يوم القيامة، فهدد وتوعد فقال: **"﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾"**، أي: ويوم يرجع كل الخلق إلى ربهم للعرض والحساب يخبرهم بما فعلوا في الدنيا من كبير وصغير، وجليل وحقير، كما قال: **"﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾" [القيامة: ١٣]**، وقال: **"﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾" [الكهف: ٤٩]**[٣].

ويحتمل أن قوله: **"﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾"** ليس بظرف، بل هو معطوف على المفعول به الذي هو (ما)، من قوله: **"﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾"**، أي: يعلم ما أنتم عليه من أحوال، ويعلم يوم يرجع المنافقون المخالفون للأمر إلى الله ـ تعالى ـ للعقاب والجزاء، : "وتعليق علمه ـ تعالى ـ بيوم رجوعهم، لا برجوعهم لزيادة تحقيق علمه ـ تعالى ـ بذلك، وغاية تقريره لما أن العلم بوقت وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوعه على أبلغ وجه وآكده، وفيه إشعار بأن علمه ـ تعالى ـ لنفس رجوعهم من الظهور بحيث لا يحتاج إلى البيان قطعا"[٤].

ثم ذكر الله ـ تعالى ـ ما هو كالدليل على كل ما سبق فقال: **"﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾"**، أي: أنَّه– عز وجل– سوف يخبرهم بما عملوا في حياتهم الأولى،

(١) نظم الدرر ٣٢٧/١٣.
(٢) التفسير القرآني للقرآن ١٣٣٩/٩و١٣٤٠.
(٣) انظر تفسير القرآن للمراغي ١٤٢/١٨.
(٤) إرشاد العقل السليم ١٩٩/٦، وانظر روح المعاني ٤١٧/٩.

ويجازيهم عليه؛ لأنه ذو علم وإحاطة بكل شيء، وهو موف كل عامل أجر عمله[١].

وهذا- أيضًا- ما سار عليه جلُّ المفسرين في تفسير هذه الآية؛ لأنه مقتضى لغة العرب قبل نزول القرآن، فنزل القرآن على وفق تلك اللغة التي تقضي بان (قد) مع الفعل المضارع يفيدان التحقيق والتكثير.

ومن ثَمَّ يظهر ضعف ما ذهب إليه بعض العلماء من كون (قد) في هذه الآية صلة[٢]، أي: كصلة الموصول التي ليس لها محل من الإعراب، فهي زائدة.

ويظهر . أيضًا . ضعف ما ذهب إليه بعض العلماء من كون (قد) في هذه الآية تفيد التقليل، وأنَّ المعنى: أقل معلوماته ما أنتم عليه[٣]، أو أنَّ الفعل المضارع فيها بمعنى الماضي، فـ(يعلم) بمعنى: (علم)[٤].

وفيما سبق كفاية للرد على كل هذه التأويلات، فضلًا عن أنه عبر بالفعل المضارع هنا، ولم يعبر بالماضي فيقول: (قد علم ما أنتم عليه)؛ للإشارة إلى إحاطة علمه- تعالى- بكل ما صدر منهم في الماضي، وبما هو صادر منهم في الحاضر، وبما يصدر منهم في المستقبل، فالاستقبال ليس للعلم؛ لأن علم الله- عز وجل- سابق أزلي، ولكن الاستقبال للمعلوم الذي سيفعله هؤلاء، فإن الله - سبحانه- يعلمه باستمرار[٥].

الآية السابعة

قال الله- تعالى-: "﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾" [الأحزاب: ١٨].

(١) انظر تفسير القرآن للمراغي ١٤٢/١٨.

(٢) انظر تفسير القرآن للسمعاني ٥٥٥/٣، ومعالم التنزيل ٦٨/٦.

(٣) انظر البرهان في علوم القرآن ٤١٨/٢، والبحر المحيط ٧٦/٨.

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ٣٢٣/١٢، وفتح القدير ٦٨/٤.

(٥) انظر جامع البيان ٢٣٢/١٩، وتأويلات أهل السنة ٦٠٢/٧، وتفسير القرآن العظيم للسخاوي للسخاوي ٦٢٣/١، ونظم الدرر ٣٢٧/١٣، والتفسير القرآني للقرآن ١٣٤٠/٩، وزهرة التفاسير ٥٢٣٨/١٠.

قبل هذه الآية حذر الله المنافقين بأن فرارهم من القتال لا ينفعهم، فقال: "﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾" [الأحزاب: ١٦]، أي: قل أيها النبي الكريم للمنافقين: "﴿لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾"؛ لأن كل واحد من البشر له نهاية لابد منها تنتهي حياته عندها، سواء كانت هذه النهاية بالقتل في الجهاد، أو بالموت على الفراش، فليعلم هؤلاء المنافقون أن الجبن لا يمنع الموت، وأن الشجاعة لا تعجل به(١).

ثم أمر الله- عز وجل- نبيه . ﷺ . أن يواجههم بحجة أخرى يعجزون عن الرد عليها، فقال: "﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾" [الأحزاب: ١٧]، أي: قل أيها النبي لهؤلاء الجاهلين: من هذا الذي يستطيع منع ما يريده الله بكم من موت أو حياة، أو خير أو شر، أو نعمة أو نقمة(٢).

ثم أكد الله- سبحانه وتعالى- أنَّ علمه محيط بهؤلاء المنافقين، وأنهم لن يفلتوا من عقابه، فقال: "﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾"، فالآية: "استئناف بياني ناشيء عن قوله: "﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾"؛ لأن ذلك يثير سؤالًا يهجس في نفوسهم، أنهم يخفون مقاصدهم عن رسول الله . ﷺ .، فلا يشعر بمرادهم من الاستئذان، فأمر أن يقول لهم: "﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾"، أي: فالله ينبيء رسوله بكم بأن فعل أولئك تعويق للمؤمنين"(٣).

(١) انظر جامع البيان ٢٢٨/٢٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٨٩/٦، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر: محمد سيد طنطاوي ١٨٧/١١.

(٢) انظر جامع البيان ٢٢٩/٢٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٩٠/٦، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر ١٨٨/١١.

(٣) التحرير والتنوير ٢٩٣/٢١.

فقول الله . تعالى .: "﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾" معناه: إن الله . سبحانه وتعالى . قد أحاط علمًا بالمنافقين الذين يعوقون الناس عن النبي . ﷺ . فيصدونهم عنه وعن حضور القتال معه(١).

قال مقاتل بن سليمان: "ذلك أن اليهود أرسلوا إلى المنافقين يوم الخندق فقالوا: ماذا الذي حملكم أن تقتلوا أنفسكم بأيدي أبي سفيان ومن معه؛ فإنهم إن قدروا هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدًا، وإنا نشفق عليكم، إنما أنتم إخواننا، ونحن جيرانكم، فأقبل رجلان من المنافقين: عبدالله بن أُبَي، ورجل من أصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبي سفيان ومن معه، قالوا: لئن قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدًا، ما ترجون من محمد؟، فو الله ما يأتينا بخير، ولا عنده خير، ما هو إلا أن يقتلنا هاهنا، وما لكم في صحبته خير، هلم ننطلق إلى إخواننا وأصحابنا . يعنون اليهود، فلم يزد قول المنافقين للمؤمنين إلا إيمانًا وتسليمًا واحتسابًا، فذلك قوله . عز وجل .: "﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾"، يعني: عبدالله بن أبي وأصحابه"(٢):اهـ

وقوله: "﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾"، أي: والله . تعالى . يعلم فريقًا آخر من المحرضين على ترك القتال مع المسلمين، وهم اليهود حين دعوا إخوانهم المنافقين حين قالوا لهم: (هلم إلينا)، أي: تعالوا معنا، واتركوا محمدًا، فلا تحضروا معه القتال، فإنا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه(٣).

---

(١) انظر جامع البيان ٢٣٠/٢٠، وبحر العلوم للسمرقندي ٥٢/٣، والمحرر الوجيز ٣٧٥/٤، ومفاتيح الغيب ١٦٢/٢٥، والتحرير والتنوير ٢٩٤/٢١.

(٢) تفسير القرآن لمقاتل بن سليمان ٤٨١/٣.

وما قاله مقاتل وغيره من المفسرين هو مضمون جملة من الآثار عن كثير من التابعين، انظر تلك الروايات عنهم في جامع البيان للطبري ٢٣٠/٢٠و٢٣١، وتفسير ابن أبي حاتم ٣١٢١/٩و٣١٢٢، والدر المنثور ٥٨٠/٦و٥٨١.

(٣) انظر تفسير القرآن لمقاتل بن سليمان ٤٨١/٣، وبحر العلوم للسمرقندي ٥٢/٣، والكشف والبيان ٣٦٦/٢١، والبسيط في التفسير للواحدي ٢٠٥/١٨، ومفاتيح الغيب ١٦٢/٢٥، وإرشاد العقل السليم ٩٦/٧، وروح المعاني ١٦١/١١.

أو هم المنافقون حين قالوا للمسلمين: ما محمد وأصحابه إلا أَكَلَةُ رَأْسٍ،(١)وهو هالك ومَنْ معه؛ فهلم إلينا(٢).

"والمعنى: أنَّ الله . تعالى . لا يخفى عليه حال أولئك المنافقين الذين يخذلون ويثبطون ويصرفون إخوانهم في النفاق والشقاق عن الاشتراك مع المؤمنين في حرب جيوش الأحزاب، ويقولون لهم: (هَلُمَّ إِلَيْنَا)، أى: أقبلوا نحونا، وتعالوا إلى جوارنا، ولا تنضموا إلى صفوف المسلمين"(٣).

وقوله . تعالى .: **"﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾"**، يعني المنافقين لا يحضرون القتال، بل يتخلفون عنكم ولا يخرجون معكم؛ لأنهم عاجزون عن القتال كالنساء؛ لما يدركهم من الخوف والهلع، أي: من شأنهم أنهم لا يأتون القتال، ولا يستطيعونه، ولا يقدرون عليه، فالآية مثل قول الله . تعالى . في شأن المنافقين . أيضًا .: **"﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾" [النساء: ١٤٢]**، أي: لا يذكرون الله البتة(٤).

وقيل: إنهم لا يأتون إتيان مَنْ يريد القتال والقيام مع المسلمين، ولكن يأتون مراءاة وسمعة وإظهارًا للوفاق لهم من غير احتساب، وإذا حضر القتال لا يقاتلون معكم ويتعللون بعلل ليفروا(٥).

---

(١) أَكَلَةُ رَأْسٍ: معناه: عددهم قليل، فكأنهم لو اجتمعوا على أكل رأس لكان كافيًا لهم. انظر الزاهر في معاني كلمات الناس ١٤/٢.

(٢) انظر جامع البيان ٢٣٠/٢٠، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٢٠/٤، والبسيط في التفسير للواحدي ٢٠٥/١٨، والكشاف ٥٢٩/٣، ومفاتيح الغيب ١٦٢/٢٥، وروح المعاني ١٦١/١١.

(٣) الوسيط للإمام الأكبر: محمد سيد طنطاوي ١٨٩/١١.

(٤) انظر مفاتيح الغيب ١٦٢/٢٥، والجامع لأحكام القرآن ١٥٢/١٤، وتفسير القرآن لابن عرفة ٢٩٠/٣.

(٥) انظر تفسير القرآن لمقاتل بن سليمان ٤٨١/٣، وبحر العلوم للسمرقندي ٥٢/٣، والبسيط في التفسير للواحدي ٢٠٨/١٨، والكشاف ٥٣٠/٣، ومفاتيح الغيب ١٦٢/٢٥، والجامع لأحكام القرآن ١٥٢/١٤، والبحر المحيط في التفسير ٤٦٣/٨، وتفسير القرآن لابن عرفة ٢٩٠/٣، والوسيط في التفسير للإمام الأكبر ١٨٩/١١.

قال المراغي: "﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾"، أي: ولا يأتون الحرب إلا زمنًا قليلًا، فقد كانوا لا يأتون المعسكر إلا ليراهم المخلصون، فإذا غفلوا عنهم تسللوا لواذًا، وعادوا إلى بيوتهم"[1].اهـ.

قلت: هنا تظهر المناسبة الجلية والعلاقة الواضحة بين هذه الآية والآية السابقة في سورة النور، والتي تتحدث . أيضًا . عن شأن المنافقين وتصرفاتهم في غزوة الأحزاب، من تسللهم لواذًا من بين المسلمين، دون إذن وعلم من النبي . ﷺ .، وقد تبين في تفسير جملة: "﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾" أنهم كانوا ذوي أعداد كثيرة، وفي هذا رد على مَنِ ادعى في تفسير آية النور أنَّ المنافقين كانوا قلة، من أجل ذلك جاء التعبير بالفعل المضارع بعد (قد)؛ للدلالة على هذه القلة في قول الله- تعالى-: "﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾" **[النور: ٦٣]**.

كذلك الشأن في هذه الآية محل البحث، فقد دلت (قد) على التحقيق والتكثير؛ لأن المقام مقام تهديد[2].

قال الظاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية: "(قد) مفيدة للتحقيق؛ لأنهم لنفاقهم ومرض قلوبهم يشكون في لازم هذا الخبر، وهو إنباء الله رسولَه . عليه الصلاة والسلام . بهم، أو لأنهم لجهلهم الناشيء عن الكفر يظنون أن الله لا يعلم خفايا القلوب[3]،...

---

(١) تفسير القرآن للمراغي ١٤٤/٢١.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم للسخاوي ٩٢/١، والتسهيل لعلوم التنزيل ١٤٨/٢، وتفسير القرآن لابن عرفة ٢٩٠/٣، وروح المعاني ١٦١/١١، ومحاسن التأويل للقاسمي ٥٧/٨، والوسيط في التفسير للإمام الأكبر ١٨٨/١١، وشرح التسهيل لابن مالك ١٠٨/٤.

(٣) وذلك ليس بعجيب في عقائد أهل الكفر. ففي الصحيحين: "عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ . رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . قَالَ: اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ، أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ، كَثِيرَةٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ، قَلِيلَةٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتُرَوْنَ أَنَّ اللهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟ قَالَ الْآخَرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا، وَلَا يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا. وَقَالَ الْآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ . عَزَّ وجَلَّ .: "﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾" **[فصلت: ٢٢]**" أخرجه البخاري في صحيحه ١٢٩/٦، كتاب: التفسير، باب: "﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ.....﴾" **[فصلت: ٢٣]** الآية، =

فللتوكيد بحرف التحقيق موقع، ودخول (قد) على المضارع لا يخرجها عن معنى التحقيق عند المحققين من أهل العربية، وأن ما توهموه من التقليل إنما دلَّ عليه المقام في بعض المواضع، لا من دلالة (قد)، ومثله إفادة التكثير"[١].اهـ.

والغرض من هذا التأكيد أن يكون هؤلاء المنافقون على حذر دائم مما يضمرون من الخلاف للنبي ﷺ.[٢].

وفيه "دلالة على إثبات الرسالة؛ لأنهم كانوا يسرون هذا، ويخفون فيما بينهم، ثم أخبرهم بذلك؛ ليعلموا أنه إنما علم ذلك باللَّه- تعالى-"[٣].

قال ابن كثير: "يخبر -تعالى- عن إحاطة علمه بالمُعَوِّقين لغيرهم عن شهود الحرب، والقائلين لإخوانهم، أي: أصحابهم وعشرائهم وخلطائهم: (هَلُمَّ إِلَيْنَا) أي: إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار، وهم مع ذلك لا يأتون البأس إلا قليلًا"[٤]:اهـ

والفعل هنا لابد أن يكون مضارعًا؛ ليفيد الدوام والاستمرار في علم الله- تعالى- بهم؛ لأنهم مستمرون في التعويق، وفي القول لإخوانهم: "﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾"؛ لأن الله عبر عنهم باسم الفاعل فقال: "﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾"، فجعل الله- عز وجل- التعويق والقول الصادر منهم وصفًا ثابتًا لهم، ولم يذكره على أنه مجرد عارض مؤقت استدعته حالة مزعجة، فأكد الله- تعالى- تحقق علمه بهم؛ ليشير هذا البيان من طرف خفي إشارة تهديد لهم، بأنهم مكشوفون معلومون لله، وبأن عقاب الله يترصدهم، ثم جاء بالفعل المضارع الدال على التجدد والدوام والاستمرار؛ لأن تعويقهم لإخوانهم صفة ثابتة

=

برقم (٤٨١٧)، ومسلم في صحيحه ١٢١/٨، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم ، بدون باب، برقم (٢٧٧٥).

(١) التحرير والتنوير ٢٩٣/٢١و٢٩٤.

(٢) انظر تأويلات أهل السنة ٣٦٥/٨.

(٣) تأويلات أهل السنة ٣٦٥/٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٩٠/٦.

من صفاتهم، وملازمة لهم في كل الأحوال، فهم معوقون دائمًا، وقائلون في كل المعارك لإخوانهم: "﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾"، لا تخرجوا مع محمد إلى قتال(١).

قال البقاعي: "لما أخبرهم- سبحانه- بما علم مما أوقعوه من أسرارهم، وأمره . ﷺ . بوعظهم، حذرهم بدوام علمه لمَنْ يخون منهم، فقال محققًا مقربًا من الماضي، ومؤذنًا بدوام هذا الوصف له: "﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾"(٢).اهـ.

وقال المراغي: "بعد أن أخبر- سبحانه- رسوله . ﷺ . بمقالة المنافقين لأهل المدينة، وأمره بوعظهم حذرهم بدوام علمه بمَنْ يخون الله ورسوله بقوله: "﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾"، أي: أنَّ ربك- أيها الرسول- ليعلم حق العلم مَنْ يثبّطون الناس عن رسول الله . ﷺ .، ويصدونهم عنه، وعن شهود الحرب معه، نفاقًا منهم وتخذيلًا عن الإسلام، ويعلم الذين يقولون لأصحابهم وخلطائهم من أهل المدينة: تعالوا إلى ما نحن فيه من الظلال والثمار، ودعوا محمدًا فلا تشهدوا معه مشهدًا، فإنا نخاف عليكم الهلاك"(٣).اهـ.

وقال عبد الكريم الخطيب: "التعبير عن العلم بفعل المستقبل، إنما هو بالنسبة لما سيقع من أصحاب هذه المواقف الخاسرة، فهو تحذير لهم من أن يقعوا في هذا المحظور المنكر، قبل أن يقع"(٤).اهـ.

وقيل: إنَّ (قد) مع الفعل المضارع هنا أفادت التقليل، ولكن الغرض التكثير والتحقيق للعلم بما ذكره، وإنما أورده على جهة الاستهانة بهم والتهكم بحالهم؛ حيث أسروا الخداع والمكر؛ ظنًا منهم أنَّ الله- تعالى- غير مطلع على هذه الخفايا ولا محيط بتلك السرائر، فأورده على جهة التقليل، مع أن المقصود به التحقيق والتكثير؛ انتقاصًا من شأنهم(٥).

---

(١) انظر البلاغة العربية لعبدالرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي ٣٢٤/٢.

(٢) نظم الدرر ٣١٣/١٥.

(٣) تفسير القرآن للمراغي ١٤٣/٢١.

(٤) التفسير القرآني للقرآن ٦٧١/١١.

(٥) انظر الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٩١/٣، وفتوح الغيب في الكشف عن =

قلت: قد سبقت كلمتنا أنَّ (قد) مع الفعل المضارع لا تفيد تقليلًا في أصل وضعها اللغوي- لا حقيقة ولا مجازًا- حتى نلجأ إلى هذا التأويل الذي بينه وبين سنة العرب الذين يُحْتَج بكلامهم، والذين نزل القرآن على طريقتهم في الكلام بُعْدَ المشرقين.

قال صاحب فتح رب البرية: "هذا ما يذكره بعض النحاة: أنَّ (قد) إذا دخلت على الفعل الماضي أفادت التحقيق أو التقريب، وإذا دخلت على الفعل المضارع أفادت التكثير أو التقليل، هذا هو المشهور، لكن الأصح أن يقال: إنَّ (قد) تدخل على الفعل المضارع، وتفيد التحقيق، وبعضهم ينفي إفادتها للتحقيق عند دخولها على الفعل المضارع، وليس بصواب، بل تدخل على الفعل المضارع وتفيد التحقيق، بدليل قوله- تعالى-: "﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾"، فـ(قد) هنا أفادت التحقيق"[1].اهـ.

الآية الثامنة

قال الله- تعالى-: "﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾" [الصف: ٥].

"عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ سَلَامٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَعَدْنَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ . ﷺ . فَتَذَاكَرْنَا، فَقُلْنَا: لَوْ نَعْلَمُ أَيَّ الأَعْمَالِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ لَعَمِلْنَاهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ- تَعَالَى-: "﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾"[2][1].

=

قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) ٦٩/٦.

(١) فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية ص ٧٤، وانظر الجنى الداني في حروف المعاني ص ٢٥٧.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٤١٢/٥، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة الصف، برقم (٣٣٠٩)، ولم يحكم عليه، والدارمي في سننه ١٥٤٥/٣، كتاب: الجهاد، باب: الجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال، برقم (٢٤٣٥)، وصححه محققه: حسين أسد، والحاكم في المستدرك ٢٤٨/٢، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الصف، برقم (٢٨٩٩)، وقال: "هذا

=

و: "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ فِي قَوْلِهِ: "﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾"، قَالَ: كَانَ نَاسٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ الْجِهَادُ يَقُولُونَ: لَوَدِدْنَا أَنَّ اللَّهَ دَلَّنَا عَلَى أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَيْهِ فَنَعْمَلَ بِهِ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ أَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَيْهِ إِيمَانٌ بِاللَّهِ لَا شَكَّ فِيهِ، وَجِهَادُ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ الَّذِينَ خَالَفُوا الْإِيمَانَ وَلَمْ يُقِرُّوا بِهِ، فَلَمَّا نَزَلَ الْجِهَادُ، كَرِهَ ذَلِكَ أُنَاسٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَشَقَّ عَلَيْهِمْ أَمْرُهُ، فَقَالَ اللَّهُ: "﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾"[٢].

فمجموع الحديثين يدل على أن صدر سورة الصف نزل حين تمنى المؤمنون فريضة الجهاد عليهم، فلما فرضه الله عليهم نكل عنه بعضهم، بدليل تعقيب الآية بقول الله ـ تعالى ـ: "﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا

=

حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه".اهـ، وقال الذهبي في التلخيص: "على شرط البخاري ومسلم".اهـ.

(١) لا شك أنَّ قتال أعداء الدين الحق من باب التسبيح؛ لأنهم عبدوا غير الله من أصنام وغيرها، وقالوا: اتخذ الله ولدًا، فكان في مقاتلتهم توسيع ساحة التنزيه، ولذا بدأ الله- تعالى- في عنوان السورة بالتسبيح، وأشار بلفظ (الحكيم) إلى ان القتال من باب الحكمة، وأنَّه من باب دفع القضاء بالقضاء، على ما يعرفه اهل الله، وبلفظ (العزيز) الى غلبة المؤمنين المقاتلين.

ثم إنهم كرهوا ذلك كأنهم لم يثقوا بوعد الله بالغلبة، ووقعوا ـ من حيث لم يحتسبوا ـ في ورطة نسبة العجز الى الله ـ سبحانه ـ؛ ولذا تقاعدوا عن القتال، وبهذا التقاعد حصلت الأذية للنبي ـ ﷺ ـ؛ لأن مخالفة أولى الأمر أذية لهم، فأشار الحق- تعالى- بقصة موسى إلى أنَّ الرسول حق، وأن الخروج عن طاعته فسق، وأنَّ الفاسق مغضوب عليه؛ لأن الهداية من باب الرحمة، وعدمها من باب السخط. انظر روح البيان لأبي الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي ٤٩٦/٩.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣٥٤/٢٣، وصححه الحافظ العراقي في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار ٢٢٦٨/٥، وحسنه الأستاذ الدكتور: حكمت بن بشير بن ياسين في كتابه الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ٤٨١/٤.

﴿كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾" [الصف: ٤]، ففيه دليل على أن اللوم كان على وعد منهم يتعلق بالجهاد في سبيل اللَّه(١).

ثم أتبع الأمر بالجهاد في سبيل الله بقصة موسى؛ لتكون مثلًا للمؤمنين الذين يقولون ما لا يفعلون، حيث ذكرهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بقوم آذوا نبيهم وهم عالمون علمًا قاطعًا بنبوته، وزاغوا فأزاغ الله قلوبهم، أي: فاحذروا أيها المؤمنون أن ينتهي بكم العصيان وقول الباطل إلى مثل حالهم(٢).

فبيان النظم هو أن الله- عز وجل- لما وبخ المؤمنين الذين ما وفوا بما عاهدوا، وأخلفوا المواعيد، فلم ينشطوا للقتال، ولم يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص، حذرهم مما لقي قوم موسى من إزاغة القلوب، والحرمان من التوفيق بسبب الأذى، فحقيقة الإقرار بالإسلام توقير من يدعو إليه، وتوقير حرمته، وإجابة دعوته، والتفادي عن إخلاف المواعيد وعما يؤذيه من القول والفعل(٣).

فقوله- تعالى-: "﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾" أي: اذكر يا أيها النبي الكريم لمن يؤذيك ما صنعتُه بالذين آذَوْا موسى من قومه المؤمنين به وبرسالته، وهم بنو إسرائيل كلهم من الأسباط الاثني عشر، فخاطبهم موسى بقوله: "﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾"(٤).

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٠٦/٨، والتحرير والتنوير ١٧٥/٢٨.

(٢) انظر التيسير في التفسير لأبي حفص النسفي ٤٠٧/١٤، والمحرر الوجيز ٣٠٢/٥، والجامع لأحكام القرآن ٨٢/١٨، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٩/٢٠، وإرشاد العقل السليم ٢٤٣/٨، وروح المعاني ٢٧٩/١٤.

(٣) انظر فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) ٣٨٤/١٥.

(٤) انظر تفسير القرآن لمقاتل بن سليمان ٣١٥/٤، وجامع البيان ٣٥٨/٢٣، والكشف والبيان ٣٥٠/٢٦، ومعالم التنزيل للبغوي ١٠٨/٨، وزاد المسير ٢٧٨/٤، ومفاتيح الغيب ٥٢٨/٢٩، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٢٨٧/٤، وإرشاد العقل السليم ٢٤٣/٨.

وقد ذكر المفسرون في تفسير هذه الآية صورًا من الأذى التي صدرت من بني إسرائيل ضد موسى، فقيل: هو ما اتهموه به من أن في بدنه آفة ومكروهًا كالأُدْرَة[(١)]، والذي ورد ذكره في قول الله ـ تعالى ـ: "﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا﴾" [الأحزاب: ٦٩][(٢)(٣)].

وقيل: كانوا يؤذونه بألسنتهم حيث قالوا: "﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾" [النساء: ١٥٣]، وقالوا: "﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾" [الأعراف: ١٣٨]، وقالوا: "﴿لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾" [البقرة: ٦١][(٤)].

---

(١) الأدرة: بضم الهمزة، وسكون الدال المهملة، وبراء مهملة: مرض يؤدي إلى تضخم في الخصية. انظر العين (أ د ر) ٦٥/٨، وعناية القاضي وكفاية الراضي، وهي حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ١٩١/٨.

(٢) "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ، إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ ثَوْبِي حَجَرُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللهُ وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: "﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا﴾". أخرجه البخاري في صحيحه ١٥٦/٤، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: بدون ترجمة، برقم (٣٤٠٤)، ومسلم في صحيحه ٩٩/٧، كتاب: الفضائل، باب: فضل موسى ـ ﷺ ـ، برقم (٣٣٩).

(٣) انظر تفسير القرآن لمقاتل بن سليمان ٣١٥/٤، وجامع البيان ٣٥٨/٢٣، وبحر العلوم ٤٤٣/٣، والكشف والبيان ٣٥٠/٢٦، والتفسير البسيط للواحدي ٤٣٣/٢١، ومعالم التنزيل للبغوي ١٠٨/٨، ومفاتيح الغيب ٥٢٨/٢٩، والجامع لأحكام القرآن ٨٢/١٨، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٢٨٧/٤.

(٤) انظر تأويلات أهل السنة ٦٣٠/٩، والتيسير في التفسير لأبي حفص النسفي ٤٠٧/١٤، ومفاتيح الغيب ٥٢٨/٢٩، والجامع لأحكام القرآن ٨٢/١٨، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٢٨٧/٤.

وكل هذه الصور من الإيذاء لا تعلق لها بالمقام، والصحيح الذي تقتضيه جزالة النظم الكريم ويرتضيه الذوق السليم أن المراد بهذا وقت قول موسى لبني إسرائيل حين ندبهم إلى قتال الجبابرة بقوله: "﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾" [المائدة: ٢١]، فلم يمتثلوا بأمره، وعصوه أشد عصيان حيث قالوا: "﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ....﴾" [المائدة: ٢٢]، إلى قولهم: "﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾" [المائدة: ٢٤]، فإن قولهم هذا استخفاف واستهانة بنبيهم، لذلك "﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾" [المائدة: ٢٥]، فوبخهم على ذلك بقوله: "﴿يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي﴾" بالمخالفة والعصيان فيما أمرتكم به(١).

وقد يكون وصفهم في الآية محل البحث بقوله: "﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾" راجعًا إلى وصفهم بذلك مرتين في سورة المائدة في قوله: "﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾"، وقوله: "﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾"(٢).

أما قوله: "﴿وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۖ﴾" فهو في موضع الحال، أي: كيف تؤذونني عالمين علمًا يقينًا أني رسول الله إليكم؟! وعلمكم التام بذلك يوجب عليكم تعظيمي وتوقيري، لا أن تؤذوني وتستهينوا بي؛ لأن من عرف الله حق المعرفة، وعظمه حق التعظيم عظم رسوله، ومن آذى رسوله كان وعيد الله لاحقًا به، فأنكر عليهم إيذاءه بعد ما علموا أنه رسول الله، ورسول الله يحترم ويعظم ويكرم، ولا يؤذى(٣).

---

(١) انظر إرشاد العقل السليم ٢٤٣/٨، وروح البيان ٤٩٦/٩، وروح المعاني ٢٧٩/١٤، وتفسر القرآن للمراغي ٨٣/٢٨، والتحرير والتنوير ١٧٧/٢٨.

(٢) انظر التحرير والتنوير ١٧٧/٢٨.

(٣) انظر جامع البيان ٣٥٨/٢٣، والكشف والبيان ٣٥٠/٢٦، والهداية الى بلوغ النهاية ٧٤٣٩/١١، والتفسير البسيط للواحدي ٤٣٤/٢١، ومعالم التنزيل للبغوي ١٠٨/٨، والكشاف =

ومن ثم فالحرف (قد) في هذه الآية أفاد توكيد العلم وتحقيقه[١].

قال الزمخشري: "إن قلت: ما معنى (قد) في قوله: **"﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ﴾"**؟ قلت: معناه التوكيد، كأنه قال: وتعلمون علمًا يقينًا لا شبهة لكم فيه"[٢].اهـ.

وقال ابن جُزَي: "هذا إقامة حجة عليهم، وتوبيخ لهم، وتقبيح لإذايته مع علمهم بأنه رسول الله، ولذلك؛ أدخل (قد) الدالة على التحقيق"[٣].اهـ.

ولما كان الفعل المضارع في قوله: **"﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾"** دالًا على التجدد والاستمرار في إيذائهم لموسى بالتقصير في أمر الله، وبالتقاعد عن فتح بيت المقدس، ناسب المقام التوكيد بـ(قد)، ثم بالإتيان بالفعل المضارع بعدها، فقال محققًا مضمون الكلام بحرف التحقيق: **"﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ﴾"**، أي: تعلمون علمًا قطعيًا، مع تجدده لكم في كل وقت بتجدد أسبابه بما أقمت أمام أعينكم من آيات ومعجزات كثيرة ومتتابعة، هي شهادة قائمة بأنَّي رسول من عند الله[٤].

=

٥٢٤/٤، ومفاتيح الغيب ٥٢٨/٢٩، وتفسير القرآن العظيم للسخاوي ٤٦٧/٢، والجامع لأحكام القرآن ٨٢/١٨، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٢٨٧/٤، وإرشاد العقل السليم ٢٤٣/٨، وفتح القدير للشوكاني ٢٦٢/٥، والتفسير القرآني للقرآن ٩١٩/١٤.

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ٨٢/١٨، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢٠٨/٥، وتفسير الجلالين ص ٧٣٩، وإرشاد العقل السليم ٢٤٣/٨، وفتح القدير للشوكاني ٢٦٢/٥، وروح المعاني ٢٧٩/١٤، والتفسير القرآني للقرآن ٩١٩/١٤، والبرهان في علوم القرآن ٣٠٧/٤، وأنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل ص ٥١٧، والموسوعة القرآنية خصائص السور ٤٠/٣.

(٢) الكشاف ٥٢٤/٤.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٣٧١/٢.

(٤) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٠/٢٠، والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ٢٧٥/٤، وإرشاد العقل السليم ٢٤٣/٨، وفتح القدير للشوكاني ٢٦٢/٥، وروح المعاني ٢٧٩/١٤، والتفسير القرآني للقرآن ٩١٩/١٤.

وقوله: "﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾" أي: فلما مالوا عن الحق أمال الله قلوبهم، والمعنى أنهم لما تركوا الحق بإيذاء نبيهم أمال الله قلوبهم فصرفهم عن الدين، جزاء لما ارتكبوا(١).

ويدل عليه قوله: "﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾"، ومعناه: لا يهدي الله الذين علم منهم أنهم يختارون الكفر والضلال، فلا يتوبون منه؛ فلا يوفقهم للحق ولا يعينهم عليه، وأما من علم منهم أنه يتوب ويسلم فإنه يوفقه ويعينه، وقد جرت حكمة الله أنه لا يهدي من خرج عن طريق الحق، إلى ما يسعدهم في دنياهم وأخراهم؛ لأنهم اختاروا طريق الشقاء، وأصروا على السير فيها.

وفي هذا تنبيه على عظم إيذاء الرسول بعصيان أمره، حتى إنه يؤدي إلى الكفر وزيغ القلب عن الهدى(٢).

هذا ما سار عليه جُلُّ المفسرين عند تفسير هذه الآية، ومن دواعي العجب ما ادعاه السمعاني- رحمه الله- من أنَّ (قد) في هذه الآية صلة، أي: كصلة الموصول التي لا محل لها من الإعراب، يعني: أنَّ (قد) زائدة، والمعنى: لم تؤذونني وأنتم تعلمون علمًا أكيدًا أني رسول الله إليكم؟(٣).

ودعاه إلى هذا ما استشعره من التقليل من الفعل المضارع بعد (قد)، وتقليل علمهم برسالة موسى لا يتناسب مع كونه دليلًا على عدم إيذائه، فاضطر إلى القول بزيادة (قد)؛ ليبقى الفعل المضارع (تعلمون) دالًا على تحقيق علمهم وتأكيده.

---

(١) انظر تفسير القرآن لمقاتل بن سليمان ٣١٥/٤، وجامع البيان ٣٥٨/٢٣، والتفسير البسيط للواحدي ٤٣٤/٢١، ومعالم التنزيل للبغوي ١٠٨/٨، والوسيط في التفسير للإمام الأكبر: محمد سيد طنطاوي ٣٥٧/١٤.

(٢) انظر جامع البيان ٣٥٨/٢٣، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٦٤/٥، وتأويلات أهل السنة ٦٣٠/٩و٦٣١، وبحر العلوم ٤٤٣/٣، والكشف والبيان ٣٥٠/٢٦، ومعالم التنزيل للبغوي ١٠٨/٨، والوسيط في التفسير للإمام الأكبر ٣٥٧/١٤.

(٣) انظر تفسير القرآن للسمعاني ٤٢٥/٥.

وهذا من أعجب العجب، فالفعل المضارع (تعلمون) ثابت ومحقق ومؤكد، فهل إذا دخلت عليه (قد) التي تفيد التحقيق والتأكيد؛ فُهِم منهما التقليل؟!

هذا يتنافى تمامًا مع ما استفاض من كلام العرب الذين يُحْتَج بكلامهم من استعمال الفعل المضارع بعد (قد) للدلالة على التأكيد والتحقيق والتكثير، وهذا ما أثبتناه في الفصل الأول من هذا البحث.

ومن المستبعد- أيضًا- ما ادعاه- لنفس السبب- أبو حيان- رحمه الله- من أن الفعل المضارع هنا بمعنى الماضي(١).

والحق- كما أسلفنا- أن التعبير بالمضارع هنا لا غنى عنه في اللفظ والمعنى، كما قال الألوسي: "﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾" جملة حالية مؤكدة لإنكار الإيذاء ونفي سببه، و(قد) لتحقيق العلم، لا للتقليل، ولا للتقريب؛ لعدم مناسبة ذلك للمقام"(٢).اهـ.

وقال عبدالكريم الخطيب: "جيء بالفعل المضارع بدل الماضي؛ للدلالة على أن هذا العلم قائم بينهم، وأن الآيات والمعجزات لا تزال تتنزل عليهم، وفي هذا ما يشير إلى ما في طبائع القوم من عناد وجماح عن الانقياد للحق، والاستقامة على طريق الهدى"(٣).اهـ.

وقال الطاهر بن عاشور: "(قد) لتحقيق معنى الحالية، أي: وعلمكم برسالتي عن الله أمر محقق؛ لما شاهدوه من دلائل رسالته، وكما أكد علمهم بـ(قد) أكد حصول المعلوم بـ(أَنَّ) المفتوحة، فحصل تأكيدان للرسالة، والمعنى: فكيف لا يجري أمركم على وفق هذا العلم؟!

والإتيان بعد (قد) بالمضارع هنا؛ للدلالة على أنَّ علمهم بذلك مجدد بتجدد الآيات والوحي، وذلك أجدى بدوام امتثاله؛ لأنه لو جيء بفعل المضي لما دل على أكثر من حصول ذلك العلم فيما مضى، ولعله قد طرأ عليه ما يبطله"(٤).اهـ.

---

(١) انظر البحر المحيط في التفسير ١٠/١٦٥.

(٢) روح المعاني ١٤/٢٧٩.

(٣) التفسير القرآني للقرآن ١٤/٩١٩.

(٤) التحرير والتنوير٢٨/١٧٩.

الخاتمة

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلامًا على النبي المصطفى . ﷺ ..

وبعد، فقد أسفر البحث عن عدة نتائج، تتمثل فيما يلي:

١ – أن التعبير بـ (قد) يفيد التحقيق، والتأكيد، والتكثير.

٢ – أن الفعل المضارع يأتي لحكم سامية، وأهداف سياقية فائقة، منها: إفادة التجدد، والإشعار بالاستمرار، وارتسام الصورة، واستحضارها للأعين، هذا فضلًا عن إفادته التأكيد والتحقيق.

٣ – أن دخول (قد) على الفعل المضارع، يعني: اجتماع أمرين يدلان على التحقيق والتأكيد، مما يزيد الأمر تحقيقًا، ويفيد المقام تأكيدًا.

٤ – أن ادعاء كون دخول (قد) على الفعل المضارع يفيد التقليل، أمر مردود عليه، بواقع الاستعمال العربي الأصيل، ودلائل كلامهم الفصيح، وقرائن الاستعمال القرآني، وفق مقتضى حاله البياني، بل إنَّ (قد) تفيد مع الماضي أحد ثلاثة معان: التحقيق، والتقريب، والتوقع، وتفيد مع المضارع أحد ثلاثة معان: التحقيق، والتوقع، والتكثير.

٥ – أن التعبير بالمضارع في كل آية قد عُنِيَ البحث بدراستها قد جاء في أعلى درجات البلاغة، وقمة نهايات الإعجاز، وأنَّ هناك من الأسباب التي استدعته في السياق، والأحوال التي اقتضته في النظم.

كما أثمر طرفًا من التوصيات، ومنها:

١ – دراسة حروف المعاني وإبراز إعجازها في السياق القرآني.

٢ – تحقيق ظاهرة التأكيد بـ (إنَّ)، واستظهار دلالتها، ووظيفتها في النظم.

٣ – دراسة دلالة الفعل الماضي في السياقات القرآنية، وإبراز أوجه إعجازه.

٤ – دراسة الآيات التي ارتبطت بسبب نزول، وبيان العلاقة بين الحادثة التي تعالجها، والمجريات التي تواجهها.

٥ – دراسة دلالة الفعل المضارع وأثره في استحضار الصورة في سياق الحديث عن القيامة وأهوالها.

هذا، وما كان من توفيق فمن الرحمن– سبحانه وتعالى–، وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمن نفسي ومن الشيطان، والله– جل جلاله– من وراء

القصد، وهو– سبحانه– حسبي ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وآخر دعوانا: أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

أولًا: **المصدر الأساس:** القرآن الكريم. قدمته؛ لكونه أصل العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، ولب الفنون ومعتمدها، وأساس أسمى المعارف، وواسطة عقدها.

ثانيًا: **المصادر والمراجع المطبوعة**[1].

([1]) وهي مرتبة على حسب الفنون على النحو التالي:

كتب التفسير وعلوم القرآن

١- إبراز المعاني من حرز الأماني لأبي القاسم شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت٦٦٥هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت .، بدون تاريخ.

٢- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م، بتحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم.

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت٩٨٢هـ)، ط دار إحياء التراث العربي . بيروت ..

٤- أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، ط دار الإصلاح . الدمام . الثانية ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٥- الاستيعاب في بيان الأسباب لسليم بن عيد الهلالي و محمد بن موسى آل نصر ، ط دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع . السعودية . الأولى ١٤٢٥هـ .

٦- الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، من مناهج جامعة المدينة العالمية بالسعودية، بدون اسم مؤلف، ط جامعة المدينة العالمية . السعودية . بدون تاريخ.

٧- أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل لزين الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي الرازي (٦٦٦هـ)، ط دار عالم الكتب . الرياض . الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩١م.

٨- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، ط دار إحياء التراث العربي . بيروت . الأولى ١٤١٨هـ.

٩- بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٤٥هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

=

=

١٠- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، ط دار الفكر . بيروت . ١٤٢٠هـ.

١١- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي (ت٧٧٢هـ)، ط دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه (ثم صورته دار المعرفة . بيروت . وبنفس ترقيم الصفحات) الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م، بتحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم.

١٢- البستان في إعراب مشكلات القرآن لأحمد بن أبي بكر بن عمر الجبلي المعروف بابن الأحنف اليمني (ت٧١٧هـ)، ط مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية . الرياض . الأولى ١٤٣٩هـ ٢٠١٨م.

١٣- البسيط في التفسير لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي(ت٤٦٨هـ)، ط عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الرياض . الأولى ١٤٣٠هـ.

١٤- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت٨١٧هـ)، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ..

١٥- تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت .، بدون تاريخ.

١٦- تأويلات أهل السنة للإمام أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (ت٣٣٣هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

١٧- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد(التحرير والتنوير) لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، ط الدار التونسية للنشر . تونس . ١٩٨٤م.

١٨- تراث أبي الحسن علي بن أحمد الحَرَلِّي في التفسير(ت٦٣٨هـ)، جمعه: محمد بن شريفة، ط منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي . الرباط . الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

١٩- التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله، ابن جُزَيّ الكلبي (ت٧٤١هـ)، ط شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم . بيروت . الأولى ١٤١٦هـ.

٢٠- تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي(ت٨٦٤هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت٩١١هـ)، ط دار الحديث . القاهرة . الأولى، بدون تاريخ.

٢١- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي رضا(ت١٣٥٤هـ)، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.

٢٢- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي(٢٧٧هـ)، ط مكتبة نزار مصطفى الباز . السعودية . الثالثة ١٤١٩هـ بتحقيق: أسعد محمد الطيب.

٢٣- تفسير القرآن العظيم لأبي الحسن علي بن محمد السخاوي(ت٦٤٣هـ)، ط دار النشر للجامعات . القاهرة . الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

٢٤- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير(ت٧٧٤هـ)، ط دار طيبة للنشر والتوزيع ، الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، بتحقيق: سامي محمد سلامة.

=

=

٢٥- تفسير القرآن لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني(ت٤٨٩هـ)، ط دار الوطن . الرياض . الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
٢٦- تفسير القرآن لأبي عبدالله محمد بن محمد بن عرفة التونسي المالكي(ت٨٠٣هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ٢٠٠٨م.
٢٧- تفسير القرآن للشيخ: أحمد مصطفى المراغي(ت١٣٧١هـ)، ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الأولى ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م.
٢٨- تفسير القرآن لمقاتل بن سليمان(ت١٥٠هـ)، ط دار إحياء التراث . بيروت . الأولى ١٤٢٣هـ.
٢٩- تفسير القرآن ليحيى بن سلام بن أبي ثعلبة القيرواني(ت٢٠٠هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
٣٠- التفسير القرآني للقرآن لعبدالكريم يونس الخطيب(ت١٣٩٠هـ)، ط دار الفكر العربي . القاهرة ..
٣١- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور : وهبة مصطفى الزحيلي(ت١٤٣٦هـ)، ط دار الفكر المعاصر . دمشق . الثانية ١٤١٨هـ.
٣٢- التفسير الوسيط للقرآن الكريم للإمام الأكبر: محمد سيد طنطاوي (ت١٤٣١هـ)، ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة . الأولى ١٩٩٧م.
٣٣- تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما ألحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل للشيخ: عبدالقادر شيبة الحمد(ت١٤٤٠هـ)، ط مؤسسة علوم القرآن . الرياض . الثانية ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.
٣٤- التيسير في التفسير لنجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي(ت٥٣٧هـ)، ط دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث . تركيا . الأولى ١٤٤٠هـ ٢٠١٩م.
٣٥- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري(ت٣١٠هـ)، ط مؤسسة الرسالة الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م ، بتحقيق: أحمد محمد شاكر.
٣٦- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي(ت٦٧١هـ)، ط دار الكتب المصرية . القاهرة . الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.
٣٧- جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار للشيخ: عبدالقادر بن أحمد بدران(ت١٣٤٦هـ)، ط المكتب الإسلامي . بيروت . الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩١م.
٣٨- الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي(ت٦٧٥هـ)، ط دار إحياء التراث العربي . بيروت . الأولى ١٤١٨هـ.
٣٩- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبي العباس أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي(ت٧٥٦هـ)، ط دار القلم . دمشق .، بدون تاريخ.
٤٠- الدر المنثور في التفسير بالمأثور لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، ط دار الفكر . بيروت.

=

=

٤١- دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، تأليف: عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري، ط دار البشائر الإسلامية . بيروت . الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

٤٢- روح البيان لأبي الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي(ت١١٢٧هـ)، ط دار الفكر . بيروت .، بدون تاريخ.

٤٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي(ت١٢٧٠هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤١٥هـ.

٤٤- زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي(ت٥٩٧هـ)، ط دار الكتاب العربي . بيروت . الأولى ١٤٢٢هـ.

٤٥- زهرة التفاسير لأبي زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى (ت١٣٩٤هـ)، ط دار الفكر العربي.

٤٦- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني(ت٩٧٧هـ)، ط مطبعة بولاق الأميرية . القاهرة . ١٣٨٥هـ.

٤٧- الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم أهميته وأثره ومناهج المفسرين في الاستشهاد به للدكتور: عبدالرحمن بن معاضة الشهري، ط مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع . الرياض . الأولى ١٤٣١هـ.

٤٨- الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للأستاذ الدكتور: حكمت بن بشير بن ياسين(ت١٣٧٥هـ)، ط دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة . المدينة النبوية . الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٤٩- الصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل بن هادي الوادعي(ت١٤٢٢هـ)، ط مكتبة ابن تيمية . القاهرة . الرابعة ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م .

٥٠- العجاب في بيان الأسباب لأحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، ط دار ابن الجوزي.

٥١- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير للشيخ: محمد الأمين الشنقيطي(ت١٣٩٣هـ)، ط دار عطاءات العلم . الرياض . الخامسة ١٤٤١هـ ٢٠١٩م.

٥٢- عناية القاضي وكفاية الراضي، وهي حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت١٠٦٩هـ)، ط دار صادر . بيروت ..

٥٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني(ت١٢٥٠هـ)، ط دار ابن كثير . دمشق . الأولى ١٤١٤هـ.

٥٤- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) لشرف الدين الحسين بن عبدالله الطيبي(ت٧٤٣هـ)، ط جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الأولى ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.

٥٥- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمذاني(ت٦٤٣هـ)، ط دار الزمان للنشر والتوزيع . المدينة النبوية . الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

=

=

٥٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود بن عمرو الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، ط دار الكتاب العربي . بيروت . الثالثة ١٤٠٧هـ.

٥٧- الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي(ت٤٢٧هـ)، ط دار إحياء التراث العربي . بيروت . الأولى ١٤٢٢هـ .٢٠٠٢م.

٥٨- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلي بن محمد بن عمر الشيحي المعروف بالخازن(ت٧٤١هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤١٥هـ.

٥٩- اللباب في علوم الكتاب لسراج الدين عمر بن علي بن عادل(ت٧٧٥هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٦٠- محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي(ت١٣٣٢هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤١٨هـ.

٦١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (ت٥٤٢هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤٢٢هـ.

٦٢- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية لخالد بن سليمان المزيني، ط دار ابن الجوزي (الدمام . المملكة العربية السعودية)، الأولى ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م.

٦٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبدالله بن أحمد النسفي(ت٧١٠هـ)، ط دار الكلم الطيب . بيروت . الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٦٤- معالم التنزيل في تفسير القرآن للحسين بن مسعود بن محمد البغوي(ت٥١٦هـ)، ط دار إحياء التراث العربي . بيروت . الأولى ١٤٢٠هـ.

٦٥- معاني القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس(ت٣٣٨هـ)، ط جامعة أم القرى . مكة المكرمة . الأولى ١٤٠٩هـ.

٦٦- معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء(ت٢٠٧هـ)، ط دار المصرية للتأليف والترجمة . القاهرة . الأولى، بدون تاريخ.

٦٧- معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السَّرِي الزجاج(ت٣١١هـ)، ط عالم الكتب . بيروت . الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٦٨- معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم للدكتور: إسماعيل أحمد عمايره، والدكتور: عبدالحميد مصطفى السيد، ط دار الفكر . إيران . ١٣١٠هـ.

٦٩- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) لأبي عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي فخر الدين الرازي(ت٦٠٦هـ)، ط دار إحياء التراث العربي . بيروت . الثالثة ١٤٢٠هـ.

٧٠- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ)، ط دار القلم . دمشق . والدار الشامية . بيروت . الأولى ١٤١٢هـ.

=

=

٧١- من بلاغة القرآن لأحمد عبدالله البيلي البدوي(ت١٣٨٤هـ)، ط دار نهضة مصر . القاهرة . ٢٠٠٥م.

٧٢- الموسوعة القرآنية خصائص السور لجعفر شرف الدين، ط دار التقريب بين المذاهب الإسلامية . بيروت . الأولى ١٤٢٠هـ.

٧٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي(ت٨٨٥هـ)، ط دار الكتاب الإسلامي . القاهرة . .

٧٤- النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، الماوردي(ت٤٥٠هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت ..

٧٥- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه لمكي بن أبي طالب حَمُّوش بن محمد بن مختار القيسي(ت٤٣٧هـ)، ط كلية الشريعة والدراسات الإسلامية . جامعة الشارقة . الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٧٦- وظيفة الصورة الفنية في القرآن لعبدالسلام أحمد الراغب، ط دار فصلت للدراسات والترجمة والنشر . حلب . الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

كتب الحديث وعلومه

٧٧- الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما لأبي عبدالله محمد بن عبدالواحد بن أحمد الحنبلي المشهور بالضياء المقدسي(ت٦٤٣هـ)، ط دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت ..

٧٨- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لعلاء الدين علي بن بلبان الفارسي(ت٧٣٩هـ)، ط مؤسسة الرسالة . بيروت . الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٧٩- البحر الزخار (مسند البزار) لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار(ت٢٩٢هـ)، ط مكتبة العلوم والحكم . المدينة النبوية . الأولى ٢٠٩م.

٨٠- الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل المرتب على أبواب الفقه للدكتور: أحمد محمد عبد الله الأعظمي، ط دار السلام للنشر والتوزيع . الرياض . الأولى ١٤٣٧هـ ٢٠١٤م.

٨١- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله . ﷺ . وسننه وأيامه (صحيح البخاري) لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري(ت٢٥٦هـ)، ط دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٨٢- السنة لأبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم(ت٢٨٧هـ)، ط المكتب الإسلامي . بيروت . الأولى ١٤٠٠هـ.

٨٣- السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي(ت٤٥٨هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت . الثالثة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٨٤- السنن لأبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل الدارمي(ت٢٥٥هـ)، ط دار المغني للنشر والتوزيع . الرياض . الأولى ١٤١٢هـ ٢٠٠٠م.

=

=
٨٥- السنن للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني(ت٢٧٥هـ)، ط دار الرسالة العلمية ، الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م ، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط.
٨٦- السنن للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى الترمذي(ت٢٧٩هـ)، ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي . القاهرة . الثانية ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م، بتحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي.
٨٧- شرح صحيح البخاري لأبي الحسن علي بن خلف بن عبدالملك بن بطال(ت٤٤٩هـ)، ط مكتبة الرشد . الرياض . الثانية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.
٨٨- صحيح الجامع الصغير وزياداته لمحمد ناصر الدين(ت١٤٢٠هـ)، ط المكتب الإسلامي.
٨٩- صحيح الكتب التسعة وزوائده لمجموعة من المؤلفين، ط مكتبة الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع . الجيزة . الثانية ١٤٤٠هـ ٢٠١٩م.
٩٠- الصحيح المسند من أقوال الصحابة والتابعين لأبي عبدالله الداني بن منير آل زهوي، ط دار الفاروق . الجيزة . ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
٩١- عارضة الأحوذي بشرح سنن الترمذي للقاضي محمد بن عبدالله بن العربي المالكي(ت٥٤٣هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت .، بدون تاريخ.
٩٢- غريب الحديث لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة(ت٢٧٦هـ)، ط العاني . بغداد . الأولى ١٣٩٧هـ.
٩٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، ط دار المعرفة . بيروت . ١٣٧٩هـ.
٩٤- الكاشف عن حقائق السنن لشرف الدين الحسين بن عبدالله الطيبي(ت٧٤٣هـ)، ط مكتبة نزار مصطفى الباز . مكة . الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
٩٥- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للحافظ علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي المُزِّي(ت٧٤٢هـ)، ط مؤسسة الرسالة . بيروت . الخامسة ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
٩٦- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري لمحمد بن يوسف بن علي الكرماني(ت٧٨٦هـ)، ط دار إحياء التراث العربي . بيروت . الثانية ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
٩٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي(ت٨٠٧هـ)، ط مكتبة القدسي . القاهرة . ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
٩٨- المستدرك على الصحيحين لأبي عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله بن محمد بن الحكم النيسابوري(ت٣٧٨هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م.
٩٩- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله . ﷺ . (صحيح مسلم) لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، ط دار إحياء التراث العربي . بيروت ..
١٠٠- المسند للإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني(ت٢٤١هـ)، ط مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط.
=

=

١٠١- المعجم الأوسط لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني(ت٣٦٠هـ)، ط دار الحرمين . القاهرة ..

١٠٢- المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني(ت٣٦٠هـ)، ط مكتبة ابن تيمية . القاهرة . الثانية.

١٠٣- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للحافظ أبي الفضل عبدالرحيم بن الحسين العراقي(ت٨٠٦هـ)، ط دار ابن حزم . بيروت . الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

١٠٤- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي(ت٦٥٦هـ)، ط دار ابن كثير. بيروت . الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

١٠٥- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ليحيى بن شرف النووي(ت٦٧٦هـ)، ط دار إحياء التراث العربي . بيروت . الثانية ١٣٩٢هـ.

كتب تراجم الأعلام ورجال الحديث

١٠٦- التاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري(ت٢٥٦هـ)، ط دائرة المعارف العثمانية . حيدر آباد (الهند).

١٠٧- تقريب التهذيب لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، ط دار الرشيد . سوريا . الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

١٠٨- جامع التحصيل في أحكام المراسيل لصلاح الدين أبي سعيد خليل بن كيكلدي بن عبدالله الدمشقي العلائي(ت٧٦١هـ)، ط عالم الكتب . بيروت . الثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

١٠٩- الجرح والتعديل لأبي محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)، ط دار إحياء التراث العربي . بيروت . الأولى ١٢٧١هـ ١٩٥٢م .

١١٠- رجال صحيح البخاري (الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد) للإمام أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، أبو نصر البخاري الكلاباذي(ت٣٩٨هـ)، ط دار المعرفة . بيروت . الأولى ١٤٠٧هـ.

١١١- طبقات فحول الشعراء لأبي عبدالله محمد بن سلَّام بن عبيدالله الجمحي(ت٢٣٢هـ)، ط دار المدني . جدة .، بدون تاريخ.

١١٢- معجم البلدان لياقوت بن عبدالله الحموي(ت٦٢٦هـ)، ط دار صادر . بيروت . الثانية ١٩٩م.

١١٣- معجم الشعراء لأبي عبيدالله محمد بن عمران المرزباني(ت٣٨٤هـ)، ط مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية . بيروت . الثانية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

كتب السيرة النبوية والتاريخ

١١٤- تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ)، ط دار المعارف . القاهرة . الثانية ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.

١١٥- دلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي(ت٤٥٨هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

=

=
١١٦- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام لأبي القاسم عبدالرحمن بن أحمد السهيلي(ت٥٨١هـ)، ط دار إحياء التراث العربي . بيروت . الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
١١٧- السير والمغازي للإمام محمد بن إسحاق بن يسار(ت١٥١هـ)، ط دار الفكر . بيروت . الأولى ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.
١١٨- السيرة النبوية لعبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري(ت٢١٣هـ)، ط شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الثانية ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م.
١١٩- صحيح السيرة النبوية تأليف: إبراهيم بن محمد بن حسين العلي(ت١٤٢٥هـ)، ط دار النفائس للنشر والتوزيع . الأردن . الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
١٢٠- صحيح السيرة النبوية من "البداية والنهاية" لابن كثير، تأليف: محمد ناصر الدين(ت١٤٢٠هـ)، ط المكتبة الإسلامية . عَمَّان . الأولى.
١٢١- الصحيح من أحاديث السيرة النبوية لمحمد بن حمد الصوياني، ط دار الوطن للنشر . الرياض . الأولى ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

كتب المعاجم والغريب

١٢٢- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي(ت١٢٠٥هـ)، ط المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت . ٢٠٠١م.
١٢٣- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري(ت٣٧٠هـ)، ط دار إحياء التراث العربي . بيروت . الأولى ٢٠٠١م.
١٢٤- الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري(ت٣٢٨هـ)، ط مؤسسة الرسالة . بيروت . الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
١٢٥- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميري اليمني(ت٥٧٣هـ)، ط دار الفكر المعاصر . بيروت . الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
١٢٦- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٣هـ)، ط دار العلم للملايين . بيروت . الرابعة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
١٢٧- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٠هـ)، ط دار ومكتبة الهلال.
١٢٨- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى(ت٨١٧هـ)، ط مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت . الثامنة١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
١٢٩- كتاب الأفعال لأبي بكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز ابن القوطية(ت٣٦٧هـ)، ط مكتبة الخانجي . القاهرة . الثانية ١٩٩٣م.
١٣٠- لسان العرب لأبي الفضل محمد بن مكرم بن على بن منظور(ت٧١١هـ)، ط دار صادر . بيروت . الثالثة ١٤١٤هـ.
١٣١- المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(ت٤٥٨هـ)، ط دار إحياء التراث العربي . بيروت . الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
=

=

١٣٢- مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي(ت٥٤٤هـ)، ط المكتبة العتيقة ودار التراث . القاهرة .، بدون تاريخ.

كتب النحو والصرف

١٣٣- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، ط مكتبة الخانجي . القاهرة . الأولى ١٤١٨هـ ١٩٨٩م.

١٣٤- الأصول في النحو لأبي بكر محمد بن السَّرِي النحوي، المعروف بابن السراج(ت٣١٦هـ)، ط مؤسسة الرسالة . بيروت .، بدون تاريخ.

١٣٥- تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد لجمال الدين أبي محمد عبدالله بن يوسف بن هشام(ت٧٦١هـ)، ط دار الكتاب العربي . بيروت . الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

١٣٦- التخمير في شرح المفصل للزمخشري(ت٥٣٨هـ)، تأليف: صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي(ت٦١٧هـ)، ط دار الغرب الإسلامي . بيروت . الأولى ١٩٩٠م.

١٣٧- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، ط دار القلم . دمشق . الأولى ١٤٤٤هـ ٢٠٢٢م.

١٣٨- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لمحب الدين محمد بن يوسف بن أحمد المعروف بناظر الجيش(ت٧٧٨هـ)، ط دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة . القاهرة .، الأولى ١٤٢٨هـ.

١٣٩- الجنى الداني في حروف المعاني لأبي محمد الحسن بن قاسم المرادي(ت٧٤٩هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

١٤٠- شرح أبيات سيبويه لأبي محمد يوسف بن الحسن بن عبدالله السيرافي(ت٣٨٥هـ)، ط مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة . ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

١٤١- شرح أبيات مغني اللبيب لعبد القادر بن عمر البغدادي(ت١٠٩٣هـ)، ط دار المأمون للتراث . بيروت . الثانية ١٤١٤هـ.

١٤٢- شرح الإمام شمس الدين محمد الفارضي الحنبلي(ت٩٨١هـ) على ألفية ابن مالك، ط دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤٣٩هـ ٢٠١٨م.

١٤٣- شرح التسهيل لجمال الدين محمد بن عبدالله بن مالك(ت٦٧٢هـ)، ط دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان . الرياض . الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

١٤٤- شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية لمحمد بن محمد حسن شُرَّاب(ت١٤٣٤هـ)، ط مؤسسة الرسالة . بيروت . الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٧م.

١٤٥- شرح المفصل للزمخشري، تأليف: موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي(ت٦٤٣هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت .، الأولى١٤٢٢هـ٢٠٠١م.

١٤٦- شرح قواعد الإعراب لابن هشام، تأليف: محمد بن مصطفى القُوجَوي (شيخ زاده) (ت٩٥٠هـ)، ط دار الفكر المعاصر . بيروت . الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

=

=

١٤٧- شرح كتاب الحدود في علم النحو لعبدالله بن أحمد الفاكهي النحوي المكي(ت٩٧٢هـ)، ط مكتبة وهبة . القاهرة .، الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

١٤٨- فتح الأقفال وحل الإشكال بشرح لامية الأفعال المشهور بالشرح الكبير لجمال الدين محمد بن عمر المعروف ببَحْرَق(ت٩٣٠هـ)، ط كلية الآداب . جامعة الكويت . ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

١٤٩- فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية، تأليف: أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، ط مكتبة الأسدي . مكة المكرمة . الأولى ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

١٥٠- الفصول المفيدة في الواو المزيدة لصلاح الدين أبي سعيد خليل بن كيكلدي بن عبدالله الدمشقي العلائي(ت٧٦١هـ)، ط دار البشير . عمان . الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

١٥١- الكتاب لسيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي(ت١٨٠هـ)، ط مكتبة الخانجي . القاهرة .، الثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

١٥٢- اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العُكْبَري(ت٦١٦هـ)، ط دار الفكر . دمشق . الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

١٥٣- معاني النحو للدكتور: فاضل صالح السامرائي، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . الأردن . الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

١٥٤- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لأبي محمد جمال الدين عبدالله بن يوسف بن أحمد بن هشام(ت٧٦١هـ)، ط دار الفكر . دمشق . السادسة ١٩٨٥م.

١٥٥- المفصل في صنعة الإعراب لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، ط مكتبة الهلال . بيروت .، الأولى ١٩٩٣م.

١٥٦- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك)، لأبي إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي(ت٧٩٠هـ)، ط معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى . مكة المكرمة . الأولى ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

١٥٧- المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد، المعروف بالمبرد(ت٢٨٥هـ)، ط عالم الكتب . بيروت .، بدون تاريخ.

١٥٨- نتائج الفكر في النحو لأبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السُّهَيلي(ت٥٨١هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

١٥٩- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت٩١١هـ)، ط المكتبة التوفيقية . مصر ..

كتب البلاغة

١٦٠- الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين أبي المعالي محمد بن عبدالرحمن بن عمر القزويني(ت٧٣٩هـ)، ط دار الجيل . بيروت . الثالثة.

١٦١- البلاغة العربية لعبدالرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي(ت١٤٢٥هـ)، ط دار القلم . دمشق . والدار الشامية . بيروت . الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

=

=

١٦٢- حاشية محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي(ت١٢٣٠هـ) على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني(ت٧٩٣هـ)، ط المكتبة العصرية . بيروت .، بدون تاريخ.

١٦٣- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للمؤيد باللَّه يحيى بن حمزة بن علي الطالبي(ت٧٤٥هـ)، ط المكتبة العصرية . بيروت . الأولى ١٤٢٣هـ.

١٦٤- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين أحمد بن علي بن عبدالكافي السبكي(ت٧٧٣هـ)، ط المكتبة العصرية للطباعة والنشر. بيروت . الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

كتب الأدب

١٦٥- أدب الكاتب لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة(ت٢٧٦هـ)، ط مؤسسة الرسالة . بيروت .، بدون تاريخ.

١٦٦- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لأبي محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي(ت٥٢١هـ)، ط مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة . ١٩٩٦م.

١٦٧- الأمالي لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي(ت٣٥٦هـ)، ط دار الكتب المصرية . القاهرة . الثانية ١٣٤٤هـ ١٩٢٦م.

١٦٨- تحقيق الفوائد الغياثية لشمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني(ت٧٨٦هـ)، ط مكتبة العلوم والحكم . المدينة النبوية . الأولى ١٤١٤هـ.

١٦٩- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي لأبي الفرج المُعَافَى بن زكريا بن يحيى الجريري(ت٣٩٠هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

١٧٠- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي(ت١٧٠هـ)، ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة .، بدون تاريخ.

١٧١- خزانة الأدب وغاية الأرب لتقي الدين أبي بكر بن علي الحموي الأزراري(ت٨٣٧هـ)، ط دار ومكتبة الهلال . بيروت . الأخيرة ٢٠٠٤م.

١٧٢- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبدالقادر بن عمر البغدادي(ت١٠٩٣هـ)، ط مكتبة الخانجي . القاهرة . الرابعة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

١٧٣- الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدمر المستعصمي(ت٧١٠هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م.

١٧٤- زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني(ت٤٥٣هـ)، ط دار الجيل . بيروت .، بدون تاريخ.

١٧٥- شرح أدب الكاتب لأبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقى(ت٥٤٠هـ)، ط دار الكتاب العربي . بيروت ..

١٧٦- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري(ت٣٢٨هـ)، ط دار المعارف سلسلة ذخائر العرب . الإسكندرية . الخامسة، بدون تاريخ.

=

=

١٧٧- شرح القصائِد العشر لأبي زكريا يحيى بن علي بن محمد التبريزي(ت٥٠٢هـ)، ط إدارة الطباعة المنيرية . القاهرة . ١٣٥٢هـ.

١٧٨- شرح المعلقات التسع المنسوب لأبي عمرو إسحاق بن مرار الشيباني(ت٢٠٦هـ)، ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بيروت . الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

١٧٩- شرح ديوان الحماسة لأبي زكريا يحيى بن علي بن محمد التبريزي(ت٥٠٢هـ)، ط دار القلم . بيروت .، بدون تاريخ.

١٨٠- شرح ديوان الحماسة لأبي على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني(ت٤٢١هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤١٤هـ ٢٠٠٣م.

١٨١- شرح شواهد المغني للحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت٩١١هـ)، ط لجنة التراث العربي . بيروت . ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م.

١٨٢- الشعر والشعراء لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة(ت٢٧٦هـ)، ط دار الحديث . القاهرة . ١٤٢٣هـ.

١٨٣- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء لأحمد بن علي القلقشندي(ت٨٢١هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

١٨٤- العقد الفريد لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي(ت٣٢٨هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤٠٤هـ.

١٨٥- العمدة في محاسن الشعر وآدابه لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني(ت٤٦٣هـ)، ط دار الجيل . بيروت . الخامسة ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

١٨٦- عيار الشعر لأبي الحسن محمد بن أحمد طباطبا(ت٣٢٢هـ)، ط مكتبة الخانجي . القاهرة .، بدون تاريخ.

١٨٧- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين نصرالله بن محمد بن الأثير(ت٦٣٧هـ)، ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة . بدون تاريخ.

١٨٨- المرشد إلى فهم أشعار العرب لعبدالله بن الطيب المجذوب(ت١٤٢٤هـ)، ط دار الآثار الإسلامية . الكويت . الثانية ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

١٨٩- المزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت٩١١هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت . الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

١٩٠- المعاني الكبير في شرح أبيات المعاني لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة(ت٢٧٦هـ)، ط مطبعة دائرة المعارف العثمانية . حيدر آباد، الهند . الأولى ١٣٦٨هـ ١٩٤٩م.

١٩١- مفتاح العلوم لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي(ت٦٢٦هـ)، ط دار الكتب العلمية . بيروت . الثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

١٩٢- المفضليات للمفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي(ت١٦٨هـ)، ط دار المعارف . القاهرة . السادسة، بدون تاريخ.

=

=

١٩٣- الممتع في صنعة الشعر لعبدالكريم النهشلي القيرواني(ت٤٠٥هـ)، ط منشأة المعارف . الإسكندرية ،، بدون تاريخ.

١٩٤- نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادي(ت٣٣٧هـ)، ط مطبعة الجوائب . قسطنطينية . الأولى ١٣٠٢هـ

١٩٥- نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري(ت٧٣٣هـ)، ط دار الكتب والوثائق القومية . القاهرة . الأولى ١٤٢٣هـ

كتب دواوين الشعر

١٩٦- ديوان الأعشى ميمون بن قيس(ت٧هـ)، ط مكتبة الآداب . القاهرة ،، بتحقيق: محمد محمد حسين.

١٩٧- ديوان الهذليين، ط الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة . ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.

١٩٨- ديوان امريء القيس بن حُجْر بن الحارث الكندي بشرح عبدالرحمن المصطاوي(ت٨٠ق هـ)، ط دار المعرفة . بيروت . الثاني ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

١٩٩- ديوان تأبط شرًا وأخباره(ت٨٠ق هـ)، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، ط دار الغرب الإسلامي . بيروت . الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٢٠٠- ديوان ذي الرُّمَّة غيلان بن عقبة(ت١١٧هـ) بشرح أبي نصر الباهلي(ت)، ط مؤسسة الإيمان . جدة . الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٢٠١- ديوان زهير بن أبي سُلْمَى(ت١٣ق هـ)، ط دار الكتب المصرية . القاهرة . الأولى ١٩٤٤م.

٢٠٢- ديوان عبيد بن الأبرص الهذلي(ت٢٥ق هـ)، ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . القاهرة . الأولى، ١٩٥٧م.

٢٠٣- ديوان علقمة بن عبدة (علقمة الفحل) (ت٢٠ق هـ)، ط دار الكتاب العربي . حلب . الأولى ١٩٦٩م.

٢٠٤- ديوان عمير بن شييم القُطامي التغلبي(ت١٣٠هـ)، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ،، الأولى ٢٠٠١م، بتحقيق الدكتور: محمود الربيعي.

٢٠٥- ديوان كعب بن زهير(ت٢٦هـ)، صنعةُ الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين العسكري(ت٣٧٠هـ)، ط دار الكتاب العربي . بيروت . الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.